كيف نفهم الأطفال

سلسلة دراسات سيكولوجية (٢٧)

تربية الشعور بالمسئولية عند الأطفال

تأليف

كونستانس فوستر

ترجمة

خليل كامل ابراهيم

المدير المساعد لشئون المناهج
بوزارة التربية والتعليم

مراجعة وتقديم

الدكتور عبد العزيز القوصي

المستشار الفني لوزارة التربية والتعليم

كيف نفهم الأطفال

سلسلة دراسات سيكولوجية (٢٧)

تربية الشعور بالمسئولية عند الأطفال

نشر هذا الكتاب بالاشتراك
مع
الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية
القاهرة

الطبعة الثالثة ١٩٩٠
الطبعة الرابعة ١٩٩٤

تربية الشعور بالمسئولية عند الأطفال

تأليف

كونستانس فوستر

ترجمة

خليل كامل ابراهيم

المدير المساعد لشئون المناهج
بوزارة التربية والتعليم

مراجعة وتقديم

الدكتور عبد العزيز القوصى

المستشار الفنى لوزارة التربية والتعليم

ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها حسن ويوسف محمد واخوتها
٩ شارع عدلى باشا القاهرة

هذه الترجمة مرخص بها ، وقد قامت الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية بشراء حق الترجمة من صاحب هذا الحق .

This is an authorized translation of YOUR ABILITIES by Virginia Bailard. Copyright © 1957 by Science Research Associates, Inc. Published by Science Research Associates, Inc., Chicago, Illinois, U.S.A.

محتويات الكتاب

صفحة

مقدمة ـ بقلم الدكتور عبد العزيز القوصي . . ٧

١ ـ ما هى المسئولية ؟ ١٣

الحنان والمسئولية .

٢ ـ اهمية التوقيت فى تعلم المسئولية : ٢٣

الأوقات المناسبة .

هذا هو افضل وقت .

الاعتماد على النفس .

الميل يولد الفرص .

ان الوقت لم يفت بعد .

٣ ـ عندما يكون هناك عمل لتاديته : ٤٥

العمل واللعب يسيران جنبا الى جنب .

عمل الرجل وعمل المراة .

تجنب الوتيرة الواحدة فى الأعمال المنزلية .

المتنصلون من الأعمال المنزلية .

متى يجب تقديم المساعدة فى الأعمال المنزلية .

٤ ـ الثواب والعقاب : ٦١

الاطراء فى المدرسة .

ثواب ام رشوة .

متى يكون العقاب ضروريا ؟

صفحة
٥ ـ دفع الطفل معناه توقع القليل جدا منه : . . ٧٣
طرفا النقيض .
ماذا وراء الاتقان ؟
تصرف الأطفال حسب سنهم .
صرامة ولكن بود .
٦ ـ تنمية المسئولية فى المدرسة : ٨٧
تكوين العادات الصالحة .
الغش والشعور بالمسئولية .
رأى المدرسين فى الأطفال .
٧ ـ الخلاصـــة ١٠٣

مقدمة

بقلم

الدكتور عبد العزيز القوصى

نشكو فى مجتمعنا هذا من ضعف الشعور بالمسئولية ، ونشكو من أننا نريد من المسئولين أن يكونوا مسئولين عن كل شىء ، ونريد من الحكام أن يعقدوا الأحكام لكل أمر ، فكثيرا ما نرى التلميذ يريد من معلمه أن يشرح له الدرس ، وأن يقوم بتحفيظه اياه ، ونرى التلميذ يتدرج فى مراحل التعليم يرتشف ملخصا هنا وملخصا هناك ، ويطلب من المدرس أن يملى عليه الدرس املاء . والمدرس الجيد هو الذى يصل بالتلميذ الى حفظه المعلومات فى حجرة الدراسة دون أن يبذل التلميذ جهدا . فعلى المدرس أن يهضم المادة ويتمثلها ويقدمها للتلميذ ، كما تأخذ الأم طعامها اليومى فتهضمه وتتمثله ويتحول فى جسدها الى لبن ترضعه لطفلها فى صورة تقوى معدته عليه .

والرضاعة من بدن الأم تستمر رضاعة من فم المدرس ،

ثم تستمر رضاعة من فم المحاضر بالجامعة ، ثم يخرج المتعلم يطلب الرضاعة من الحكومة فى كل أمر . فعلى الحكومة أن تحارب المرض ، وعليها أن تنشىء المدارس ، وعليها أن تعلم ، وعليها أن توجد الرزق وتخلق العمل ، وعليها أن تفعل كل شىء . أما المواطن فليس عليه من شىء . حياة أغلبها حقوق وأقلها واجبات ، أغلبها مطالب وأقلها مسئوليات، هذا بالطبع أمر لا ينطبق على جميع الناس . وما دام لاينطبق على جميع الناس فهناك أمل فى اصلاح ، والاصلاح يأتى عن طريق التربية ، فالتربية تشكل الشخص تشكيلا يجعله يشعر بالمسئولية ، ويندفع نحو تحقيق غاياتها .

وقد رأيت بعينى رأسى أفاعيل الاستعمار فى بعض البلاد العربية . رأيته يهيىء للناس حياة أغلبها حقوق وأقلها واجبات . ورأيته يهيئها بحيث لا يعتمد الناس على أنفسهم وانما يظلون عالة على غيرهم فى كل ما يجلب لهم الراحة والترف ، رأيته يبث سمومه ومخدراته بين الناس بحيث يوقف نمو الشعب من حيث اكتمال الرجولة ، واكتمال النضج ، واكتمال نمو الشعور بالمسئولية .

من هذا نرى أن تربية الشعور بالمسئولية أمر على أكبر جانب من الأهمية فى بناء الأفراد والمجتمعات .

والشعور بالمسئولية ليس لفظا مجردا . فله ميادينه : فهناك شعور المرء بمسئوليته نحو المجتمع . ونحو أسرته ، ونحو نفسه . وهناك الشعور بالمسئولية نحو مهنة : ونحو طائفة : ونحو فكرة . وفى الوقت الذى أكتب فيه هـذه الكلمات أشعر بمسئولية نحو فكرة القومية العربية وأشعر بضرورة الاسهام فى نشر الوعى بها ودراستها دراسة علمية دقيقة تخرج بها من حيز الكلام والعاطفـة الى حيز العلم والعمل .

وأشعر كذلك أن الشعور بالمسئوليـة هدفه عمـل ، فالشخص الذى يشعر بالمسئوليـة شخص ايجابى عملى . والشعور بالمسئولية أوله عمل وسبيله عمل وهدفه عمل ، فلا يتم انماء الشعور بالمسئولية الا عن طـريق الممارسـة والاشعار الفعلى بالمسئولية .

وأهم مبدأ أقرره هنا هو خطورة تركيز المسئولية فى جهة واحدة ، فاذا ركز الوالد كل مسئوليـات أسرته فى يديه حرم الزوجة والأبناء من ممارسة المسئوليـة . بعض الآباء يتحملون مسئولية اختيار ملابس أبنائهم واختيـار أصدقائهم ، ومسئولية اختيار ألعابهم ، ومسئولية ما يقـع بينهم وبين زملائهم فى اللعب ، ويتحملون مسئوليـة فض

منازعات الأبناء . وبذلك لا تتحمل الزوجة عبئا ولا يتحمل الأبناء عبئا . ويظن الآباء تبريرا لمسلكهم أنهم يخففون عن أبنائهم عطفا عليهم .

وأعرف آباء يختارون الزوجة للابن والزوج للابنة ثم يظلون يتدخلون فى تفاصيل حياة أبنائهم حتى بعد زواجهم ، وكثيرا ما تحطمت أسر بسبب هذا التدخل .

وفكرة المسئولية ليست قاصرة على التربية فى البيت ، أو على التربية فى المدرسة ، وانما هى تمتد الى تربية المجتمعات ، والنظم كفيلة بتربية الناس الى مدى بعيد .

فالنظم المركزية تعود الموظفين عدم تحمل المسئولية وبذلك يهبط مستوى العمل ومستوى الانتاج . وحجة المركزيين ضرورة وجود رقابة للاصلاح ، ولكن الرقابة تؤدى الى الاضعاف ، ولذلك نجد النظم المركزية ظاهرها نظام ، وباطنها تذمر وشكوى ، واضعاف للتنشئة على تحمل المسئولية .

وشأن النظم المركزية فى هذا شأن النظم الاستعمارية ؛ فهناك تربية تؤدى الى تنشئة السادة ، وهناك تربية تؤدى الى تنشئة العبيد التابعين المطيعين الذين لا يسببون المتاعب وينفذون كل رغبات السادة .

فاذا تذكر الآباء والمعلمون هذا تذكروا واجبهم فى أنهم يريدون أن ينشئوا سادة ولا يريدون أن ينشئوا عبيدا . وهؤلاء السادة كفيلون باصلاح المجتمعات والنظم .

وهذا كله يكون بتهيئة الجو للاضطلاع بالمسئولية والقيام بالعمل واسداء الخدمات . وعند القيام بالعمل يشعر الشخص بنتيجة عمله هذا ؛ فاذا نجح وثق من نفسه واذا أخفق عدل من سلوكه حتى ينجح . وعند تعديله لسلوكه يتعلم ويكتسب خبرات ومهارات .

فكأن الجو الحر الملون ببعض التوجيه كفيل بتعويد الناس تحمل المسئوليات .

والتربية لتحمل المسئولية دعامة من دعامات الاستقلال، فتكوين شعب مستقل يستلزم أفرادا مستقلين ، وتكوين شعب اتكالى طيع يستلزم أفرادا اتكاليين طيعين .

ومن شأن التربية لتحمل المسئولية أن يشعر فيها الشخص بقيمته واحترامه لنفسه واستمتاعه بالحياة .

وبالطبع المسئولية نفسها تكون بمقدار .. فان زادت عن حدها أو بكرت عن موعدها كانت ضررا ؛ وان قلت كانت ضررا كذلك .

ومن الخير أن نعرف هذا المقدار .

وهذا الكتاب الذى نضعه بين يديك يدلك على طريقة التربية لتحمل المسئولية ، ويدلك كذلك على المقدار اللازم سواء أكان هذا فى نطاق الأسرة أم فى نطاق المدرسة .

ولا أغالى ان قلت ان هذا الموضوع يأتى فى المرتبة الأولى بالنسبة لموضوعات التربية . ولهذا تقدم لك فيه هذا الكتيب ومؤلفته لها خبرة واسعة وكتب متعددة وأغلبها يتمركز حول هذا الموضوع وحول واجبات الآباء نحو الأبناء .

وأما المترجم فهو الأستاذ خليل كامل المدير المساعد لشئون المناهج بوزارة التربية فى الجمهورية العربية المتحدة، فله خبرته الواسعة مع تلاميذه وأبنائه ، وله مؤلفاته وبحوثه العميقة الممتدة على نطاق واسع .

ولا أشك فى أن الكتاب سيفيد الآباء فى كل أسرة ، والمعلمين فى كل مدرسة ، وهو فوق هذا يوحى لكل أولى الأمر بما يجب عليهم نحو من يرعونهم أو يعملون معهم .

١

ماهي المسئولية

اذا أردت أن تدون خصـــائص الشخص « المسئول » فانك تستطيع أن تجمع منها ما يؤلف قائمة طويلة ؛ فقـــد تقول ان الشخص المسئول :

• يهتم بنفسه ويحترمها كما يهتم بغيره ويحترمهم .

• يرغب فى تحمل نصيبه من العمل ، وينجز التزاماته ؛ ويعتمد على نفسه دون أن يسبب لغيره متاعب لا لزوم لها.

• يعرف قدر نفسه ويتحمل مسئولية آرائه وشعوره وتصرفاته .

• لا ينتظر أن يصيب شيئا دون مقابل .

• مجد فى عمله ، ويكون والدا فاضلا ، وزميلا صادقا، وجارا طيبا .

فالمسئولية كما ترى يندرج تحتها صفات عديدة مختلفة، وهنا يصح أن نتساءل :

لماذا يحرص الآباء والمدرسون على تنمية هذه الصفات فى أطفالهم حتى يشبوا أفرادا مسئولين ؟ وقد يرى كثير من الناس أن الشخص المسئول هو الذى يغلو فى جده مع ميل طفيف الى العبوس ، والذى يبدو كما لو كانت أعباء العالم فوق كتفيه : أما غير المسئول فكثيرا ما نصوره بأنه شخص مرح محب للهو والهزل ويميل الناس الى اغتفار ما يصدر منه لأنه غير مسئول .

دراسات لمعرفة المزيد عن المسئولية

ولكن تعريف المسئولية على هذا النحو قد ثبت خطؤه من البحوث التى قام بها قادة علم النفس والاجتماع . فالشخص السعيد المتكيف تكييفا كاملا هو من يحس بالمسئولية احساسا متزنا سواء أكان ذلك نحو نفسه أم نحو الآخرين . أما غير المسئول فهو فى الغالب لا يثق بنفسه ولا بالعالم المحيط به ، ويركز اهتمامه حول نفسه . وهو لهذا لا يستطيع أن يكون صادقا فى حبه للغير ؛ ولا يمكنه أن يهب للآخرين حبا حقيقيا ، ولا ينعم بالارتياح الناتج عن كل ذلك .

وفوق ذلك فقد أظهرت البحوث أن غير المسئولين والتعساء ، والذين يركزون اهتمامهم حول أنفسهم هم الذين لا يتجاوبون مع أسلوب الحياة الديمقراطية ، لأنهم يرغبون عن تحمل نصيبهم من العمل ولا يحترمون حقوق الغير ولا يأبهون لشيء سوى رغباتهم وميولهم الخاصة .

إن الأفراد السعداء المتكيفين هم عادة أكثر الناس شعوراً بالمسئولية

مما تقدم يتضح سبب اهتمامنا نحن الآباء والمدرسين ، بتنمية المسئولية عند أطفالنا حتى يشبوا رجالا مسئولين .

ضرورة تعلم المسئولية

ان الطفل لا يولد عارفا بالمسئولية ، ولهذا ينبغى أن يتعلم تحملها ، فالواجب أن يتعلم التعاون واحترام الآخرين والأخلاق الكريمة ، كما يتعلم المشى والكلام .

وعملية تعلم المسئولية تبدأ فى وقت أكثر تبكيرا عما يظنه أكثر الناس ، فهى تبدأ مع مولد الطفل ، والطفل لا يستطيع تنمية الشعور بالمسئولية من ذات نفسه ، فهذه التنمية لا تأتى فجأة أو بطريق المصادفة .

ولكن الطفل يتعلم شيئا عن تحمل المسئولية من العناية التى يلقاها من والديه والمعاملة التى يجدها ممن يتصلون به. ولما كانت عملية التعليم هذه تستمر الى قرب نهاية مرحلة المراهقة، فان الآباء والمدرسين فى مدارس الحضانة والمدارس الابتدائية والثانوية لهم جميعا دورهم فى مساعدة الأطفال على تنمية هذا الشعور البالغ الأهمية ألا وهو الشعور بالمسئولية.

وقد وجد الخبراء أن الرضيع يبدأ تعلم المسئولية من قيام آله وذويه بسد حاجاته كلها . وهذا عكس المعروف تماما عن خصائص الشخص المسئول .

وهكذا نرى أن الطفل يتعلم المسئولية بأن يكون فى البداية غير مسئول ! .

والواقع أن تحمل المسئولية ليس الا صورة من البذل أو المشاركة ؛ فالغالب أن يشـارك الطفـل من يكون قد شاركه قبلا فى شىء ما . وهناك احتمال كبير مثـلا فى أن يقدم الطفل حلواه لأقرانه اذا كانوا قـد أشركوه قبلا فى حلواهم ، ولكن هذا الاحتمال يقل اذا كانوا لم يدأبوا على فعل ذلك . فالانسان يتعلم البذل والحرص على شعور الغير عن طريق حرص الآخرين على شعوره واهتمامهم بشأنه .

وتبين الدراسات العديدة ومن بينها واحدة لبترن . ا . سوروكن العالم الاجتماعى المشهور — أن تنشئة الأطفال فى جو من الحنـان وعلى أيدى آباء عطوفين له أهميتـه العظمى فى مساعدة الأطفال على أن يشبوا على التعـاون والشعور بالمسئولية .

ومن البحث الشامل الذى قام به الأستاذ سوروكن على الكبار وطلبة الجامعة وأطفال الحضانة ، وجد — فى أغلب الحالات تقريبا — أن أسعد الأطفـال وأقربهم الى قلوب الناس وأكثرهم شعورا بالمسئولية هم أبناء الأسر السعيدة التى تشيع بين أفرادها روح المحبة والتعاطف ؛ والتى تقوم علاقاتها على أساس التفاهم والتوافق .

ولم يعط الثراء والأمكانيات المادية الموفورة ميزة لأية

مجموعة من المجموعات التى تناولها البحث — على غيرها . ولكن الصفة الوحيدة المشتركة بينها كانت الحب المتبادل بين الوالدين والتفاهم القائم بينهما .

الحنان والمسئولية

قد لا يبدو مقبولا أن الحنان والرعاية هما السبيل الى تعليم المسئولية ، وأن الوالدين يمكنهما تحقيق ذلك بمجرد تقبيل الطفل ومعانقته وتغيير لفائفه وتوفير الغذاء والدفء له ومصابرته وحمايته من الخوف والضر والغضب . ولكن الواقع أن هذا النوع من العناية هو الأساس الذى يقوم عليه كل سلوك تتمثل فيه جوانب المسئولية .

والتنمية الحقة للشعور بالمسئولية — متدرجة من الوسائل البسيطة فى البداية — تستلزم وجود مستودع هائل من الشعور الطيب لدى الأطفال مع رصيد من الحب فى أعماق نفوسهم ؛ فالطفل يتعلم أن يكون محبا لغيره من معيشته — منذ البداية — فى ظل رعاية تقوم على الحب .

والمعروف أن الذين يشعرون بالمسئولية الحقة يكون الحب دائما أساس علاقتهم بغيرهم . أما الذين يميلون الى العداوة وتنطوى نفوسهم على المرارة وايذاء الغير فهؤلاء

يكونون عادة مشغولين بأحاسيسهم الخاصة الدرجة تصرفهم عن تحمل المسئولية الحقة حيال أنفسهم وحيال غيرهم . وهكذا نجد الأطفال يوجهون نحو الحب والتعاطف أو عكسهما فى سنى حياتهم الأولى .

من هو صاحب السلطة ؟

هذا طفل عمره ستة أشهر ، وهو جائع ولفافته مبتلة ، وتسمعه والدته يصرخ ولكنها ترى أن تنتهى من بعض الأعمال المنزلية قبل أن تعد له غذاءه أو تغير لفافته . وهى تشعر أن من الخير للطفل أن ينتظر قليلا قبل أن يجاب الى ما يطلب ، وهى ترى فى ذلك وسيلة لتعليمه تنظيم المواعيد، وأن من الواجب تدريب الأطفال على ذلك وهم صغار ، والا فهم يتدللون ويلجأون للبكاء كسلاح للحصول على احتياجاتهم ! .

وهى لا تذهب الى طفلها الا عندما يصل بكاؤه الى درجة تثير أعصابها ، ولكن الطفل يكون عند ذاك قد وصل الى حالة عاطفية سيئة من فرط البكاء ولا يكون لديه وقتئذ ميل للطعام ، فيتناول قدرا طفيفا من اللبن ثم يكثر من السعال ويرغى ويزبد ، وتصر والدته على مقابلة هذا العناد

بصرامة فلا تناغيه ، ولا تداعبه فى أثناء تغيير ملابسه ، ولا تقبّله عندما تعيده الى فراشه لينام . لاشك أن هذه الفترة لم تكن فترة سعيدة لكل من الطفل وأمه .

من الخير أن نحنو عليهم

لنأخذ مقابل هذا حالة طفل آخر يكبر الأول ببضعة شهور . لقد صحبته أمه معها فى رحلة طويلة لرؤية والده وهو جندى فى أحد المعسكرات فى الجنوب . وكانت أمه تطعمه فى مطعم المحطة عند انتظار القطارات ، ولم يكن الطعام مستساغا وكانت علامات الضيق تبدو على الطفل من جراء ذلك الحبس الطويل داخل القطار ، فتوالى بكاؤه تارة ، وعبثه بالطعام تارة أخرى .

وبالرغم من معرفتها أن سبب هذا الضيق هو تلك المثيرات التى لابست السفر وذلك الجو الغريب الذى أحاط به فى أثنائه ، الا أنها أصرت على محاولة اطعامه لأنها لم تكن تدرى أنها تستطيع أن تجد فى القطار طعاما أنسب من هذا ، وأخيرا جذب الطفل طبقا من الأطباق فانقلب .. عندئذ سارعت الأم الى تنظيف ما اتسخ من ملابسه ويديه ووجهه بقدر الامكان ورفعته من مقعده ثم قبلته وقالت له

بكل حرارة : لا بأس يا عزيزى بما فعلت ومع ذلك فاننى أحبك كثيرا .

ومن السهل أن ندرك مدى تأثر كل من الطفلين بمثل هذه الأحداث المتصلة المستمرة . فالطفل الأول ، حين أرغم على أن يعانى من البلل والجوع مع حرمانه من حب والدته ومن الدفء الذى يجده بين ذراعيها دون فهم لخطأ بدر منه ينمو عنده غالبا شعور بمعاداة العالم له واهمال رغباته .

أما الطفل الثانى ، الذى تحاول أمه أن تدرك مدى الصعوبات التى يصادفها أحيانا طفل صغير لاحول لهولا قوة على تحقيق رغباته ، هذا الطفل غالبا ما ينمو لديه الشعور بأن العالم مكان جميل للغاية ، وأنه فى أمان للرعاية التى يلقاها والحنان الذى يجده . فهذا الطفل الذى يجد الحب والرعاية ويجد من يفهم مطالبه سيشب قادرا على العناية بالآخرين وعلى تحمل المسئولية .

وقد تكون والدة هذا الطفل محقة عندما قالت ان من الخير أن نحنو على الأطفال كثيرا . فان هذا خير لهم وللعالم ولنا ، اذ أن تحمل المسئولية لا يمكن ان يرجى تحقيقه بغير مقابل من الحب نمنحهم اياه .

مسلّمات

• تثبّت من أن طفلك يشعر بحبك اياه واقبالك عليه وأهميته بالنسبة لك .

• لاتخش من أن العطف والاهتمام يفسدان الطفل .

• تناوله فى لطف وتحدث اليه فى رقة .

• أرضِ حاجاته الى الطعام والحب والراحة الجسمية بأسرع ما يمكن .

• أجب رغائبه وفق ما يريد بادىء الأمر حتى يشرع بعد ذلك فى محاولة أداء الأشياء حسب رغبتك.

• قلل من القيود التى تفرضها عليه والاحتمالات التى تتوقعها الى الحد الأدنى ، وسيكون الطفل فيما بعد أكثر تهيئا لقبول وأداء ما تتوقعه منه .

٢

أهمية التوقيت فى تعلم المسئولية

هناك أوقات خلال المرحلة الطويلة بين الميلاد والبلوغ يكون تعليم المسئولية فيها أسهل من غيرها .

فالآباء والمدرسون الذين يعرفون هذه الفترات المناسبة ويستغلونها ، يساعدون أطفالهم على التقدم بخطوات سريعة نحو تعلم المسئولية . فاذا فاتتهم هـذه الفترات الملائمـة للتعليم أو أهملوها فان الأطفال سيجدون صعوبة أكبر فى تعلمها .

الأوقات المناسبة

يتطلب تعلم المسئولية وقتا طويلا ، وتحقيقه لا يتأتى دفعة واحدة ، ولكن من الخطأ أن نرجىء البدء فيه . وعندما يبدى الطفل رغبة واستعدادا لأن يقوم بنفسه بعمـل من الأعمال ، مهما كانت سنه ، فان هـذا يكون هو الوقت المناسب لتعلم تحمل المسئولية .

وجملة القول أنه لا توجد سن معينة للبدء فى تعلم المسئولية . وعلى الآباء والمدرسين أن يشجعوا أطفالهم على تحمل المسئولية فى أى مكان وفى أى وقت يظهرون فيه استعدادا لذلك . وانابتسامة أو كلمة تشجيع من الأمطفلها عندما يرفع ذراعه ليتمكن من ارتداء قميصه بسهولة يمكن أن تكون أول درس يعطى للطفل فى التعاون أو فى تحمل المسئولية .

هل سمعت أن أما تقول : « ان سن ابنتى ثلاث سنوات واننى أمضى وقتا كثيرا فى تعليمها كيف تتعاون مع الغير وكيف تكون أهلا لأن يعتمد عليها ؟ » .

وهل سمعت مدرسا يقول : « اننى لا أتوقع من أطفالى فى السنة الأولى أن يكونوا مؤدبين ومنظمين واننى أعتقد أن أمرهم سوف يستقيم فيما بعد فى السنة الثالثة أوالرابعة حيث يبدأ تعلم هذه الاتجاهات » .

الواقع أن الرضيع يكون مستعدا لتقبل دروس بسيطة كثيرة فى تحملالمسئولية ويستطيع الآباء والمدرسون — من غير ضغط يزيد على قدرة الصغار أو طاقتهم الجسمية — أن يساعدوا على تنمية هذا الشعور لديهم بالاكتفاء الذاتى والقدرة الذاتية .

ان المسألة تعتبر الى حد كبير ، مسـألة تعـرف على استعداد الطفل ورغباته ليصبح أكثر تحملا للمسئولية ، ثم يلى ذلك مساعدته وتشجيعه عليها .

ترك الزجاجة (البزازة)

ربما كان أول وقت مناسب لتعلم المسئولية هو عندما يظهر الرضيع استعداده للانصراف عن البزازة ، ومع أن بعض الأطفال قد لا يمرون بمرحلة يظهر فيها أنهم لن يقبلوا بعدها على البزازة الا أن الكثير منهم يفقد ميله الى البزازة فجأة ويريد الشرب من فنجان أو يتناول طعامه كله فى صورة غير سائلة .

عند ما يريد الطفل أن يشرب من الفنجان ، فانه يقوم بمحاولة لتحمل المسئولية

والنظام يكون أكثر سـهولة فى ذلك الوقت ، ويمكن

ابعاد الطفل عن البزازة كلية دون جلبة أو مضايقــة . واذا ضاعت هذه الفرصــة ولم يعط الطفــل بديلا عن الشرب من البزازة ، فقــد يزداد تعلق الطفــل بها . وقــد يتشبث باستعمال البزازة حتى يفقد قابليته للأطعمة غير السائلة ، وقد يستمر تعلقه بها فترة طويلة أطول مما يجب .

وبهذا تصبح فترة النظام النهائية فترة متعبة صعبةلكل من الطفل وأمه .

توقيت الذهاب الى دورة المياه

يتعجل الأمهات عادة الوقت الذى يقوم فيه أطفــالهم بالذهاب الى دورة المياه من تلقاء أنفسهم ، ولكن التدريب على ذلك له وقته المناسب ، و هذا الوقت يحين عدة مرات كل يوم .

وأكثر الأمهات يعرفن أن من أفضل الطرق للبــدء فى تدريب الصغير على الذهاب الى دورة المياه هى العمل على أن يكون الطفل فى المكان اللازم فى الوقت المناسب ، بمعنى أنه اذا أمكن للأم أن تذهب بالطفــل الى دورة الميــاه فى الوقت الذى يكون فيه مستعدا للتبرز فانه سيتعلم بسرعة العلاقة بين رغبته فى التبرز وبين الذهاب الى دورة المياه .

وبديهى أننا لا ننصح بالانقضاض على الطفل ودفعه داخل دورة المياه عندما تكتشف الأم أنه يتبرز فعلا ، أو على وشك التبرز ، فهذا يكسب العملية صفة الخطورة التى لا مبرر لها ويجعل لها فى ذهن الطفل أهمية زائدة .

ومن ناحية أخرى ، ليس من المصلحة أيضا أن ننطلق بالطفل الى دورة المياه دون أن يكون فى حاجة الى الذهاب اليها . وما ذلك الا مسألة توقيت أو ضبط للوقت .

وعلى كل ، فهناك وجه آخر للتوقيت عند التدريب على الذهاب الى دورة المياه ، فقبل سن الثانية تقريبا لايكون الأطفال قد وصلوا فى نموهم الجسمى الى الدرجة التى تمكنهم من التحكم فى ضبط التبرز . فالتبرز يكاد يكون عملية آلية بحتة يضبطها الضغط على أعصاب وعضلات خاصة . ولما كان وضع الطفل فوق المرحاض مثيرا للنفور فى بعض الحالات ، والتدريب على الذهاب الى دورة المياه فى الوقت المناسب لا يمكن أن يكون مجديا قبل سن الثانية وما بعدها فان كثيرا من الخبراء يعترضون على هذا النوع من التدريب قبل سن الثانية والنصف .

تناول الطفل طعامه بنفسه

هناك وقت آخر ملائم لتعليم الطفل المسئولية ، وهذا

يكون حول الشهر الخامس عشر من عمره عندما يبدأ محاولته الأولى لاطعام نفسه . فالطفل لا يستمتع باللعب بطعامه فقط أو بوضع جزء منه فى فمه أحيانا ولكنه يبدأ فى نفس الوقت محاولة الاعتماد على نفسه فى قضاء حاجاته — وهذه خطوة هامة فى سبيل صيرورته مسئولا .

ومن الخطأ أن تثبط همة الطفل فى محاولاته الأولى لاطعام نفسه اعتمادا على أن « الأكل بهذه المحاولات يتطلب وقتا طويلا منه » ، أو « أنه يحدث قذارة بالغة » أو « أن تبديد الطعام بهذه المحاولات خسارة » أو « أن الطفل لا يقصد من ذلك غير اللهو » فاذا حالت الأم بين طفلها وبين محاولاته تناول الملعقة أو الفنجان وقالت : « فلننتظر قليلا يا عزيزى الى أن يمكنك أن تحسن استعمال الملعقة » فان ذلك يفوت على الطفل فرصة سانحة لتنمية شعوره بالمسئولية.

والأم التى تقول لطفلها الذى يبلغ الثانية من عمره « انتظر » قد تستمر فى اطعامه بالملعقة الى سن الخامسة عندما يعود من روضة الأطفال لتناول وجبة الغذاء بالمنزل .

المساعدة فى أعمال المنزل

تستهوى أعمال المنزل غالبية الأطفال فى سن الثالثة . كيف تطهو الأم الطعام ؟ كيف تغسل الملابس ؟ وكيف تنظف

المنزل ؟ ويتتبع الصغير أمه عن قرب ويحاول مساعدتها فى أعمال المنزل وهذا وقت آخر مناسب لتعلم تحمل المسئولية. فمع أن الطفل يعوق عملية تنظيم المنزل ويضايقنا ، الا أن هذا السلوك يمثل أطيب المقاصد ، وينبغى أن يشجع الطفل عليه مع اشعاره بأنه عضو مفيد نافع ، وبهـذه الطريقـة ننمى عنده الاتجاه السوى للقيام بنصيبه من العمل فى أرجاء المنزل .

إشعار الصغير بأنه عضو مفيد نافع يشجعه على الاتجاه السوى نحو العمل

ومع ذلك فقد تعارض بعض الأمهات رغبـة طفلها فى المساعدة والتعاون ، وقد تقول احداهن : «أرجوك ياعزيزى

ان وقتى ضيق وسوف أكنس السجادة بنفسى حتى أفرغ من العمل بسرعة، اخرج الى الحديقة والعب بعربتك الى أن أنتهى من عملى » وكان الطفل ، طبعا ، يحاول أن «يكون ولدا شاطرا » فيساعد أمه فى استخدام المكنسة .

وقد لا يوجد وقت أفضل من هذا الوقت يمكن أن يكون الطفل أكثر ميلا واستعدادا الى تحمل بعض المسئولية فى منزل نظيف مرتب ، وحتى اذا عادت أمه فوكلت اليه أمر ارجاع الأشياء الى أماكنها فان هذا لن يكون ذا معنى لديه ما دامت قد أوضحت أنه يمكنها ترتيب المنزل بسرعة دون مساعدته .

انا أقوم بهذا العمل

من أحب تعبيرات الأطفال فى سن الثالثة هو « أنا أقوم بهذا العمل » فعندما تغسل أمه وجهه أو تلبسه ملابسه أو تخلعها له ، فانه يقاوم ويتخلص منها رغبة منه فى أن يقوم عنها بهذا العمل . هذا أيضا وقت مناسب آخر لتنمية تحمل المسئولية .

فمع أن الطفل فى الثالثة من عمره ، لا يمكنه عادةوضع الزرار فى العروة المقابلة له . ولا يمكنه فهم الطريقة التى يربط بها حذاءه فان محاولاته لارتداء ملابسه والعناية

بنفسه انما هى دلالات على النمـــو فى اســتقرار المسئولية .

ومع ذلك ، فكثير من الأمهات يعتقدن أن محاولة الصغار أداء أعمالهم تنتهى بأن يقمن هن أنفسهن بتلك الأعمـــال لأطفالهن .

فهذه أم تقول لطفلها : « اسمع يا عزيزى ، دعنى أقم بهذا عنك ، ان الأفطار سوف يبرد وأنت تحاول عبثا لبس الحذاء بالطريقة الصحيحة » ، « لا .. لا ، لاتستطيع أن تغتسل بنفسك ، فقد بددت فى المرة السابقة قطعة كاملة من الصابون ، هذا الى أنك أفسدت فوطة من أحسن فوطى » .

وأكثر الأمهات اللائى قلن ذلك لأطفالهن فى سن الثالثة أو الرابعة ما زلن يلبسن أطفالهن ويغسلن أيديهم وأجسامهم الى سن السابعة والثامنة والتاسعة .

هنا هو افضل وقت

عندما يفوت الآباء هذه الفرص الطيبة لتعليم الطفـــل كيف يعنى بشئون نفسه — وهى الفرص الملائمة لتنمية المسئولية — فان الطفل قد يتجه الى أن يستعذب خدمة الآخرين له وعنايتهم به ، أو أنه قد يقبل ببساطة تلك الأمور على أنها شىء طبيعى . فاذا لم يكن قد سبق أن شجع الطفل

على أن يخبر متعةالتعاون ، أو على تنميةالنواحى الابتكارية عنده أو الوفاء بالتزاماته ، فانه لا يكون « شعورا » حيال هذه الخبرات جميعا . فهو لا يهتم بأن يعنى بلعبه ، أو الى المحافظة على نظام ملابسه وأشيائه الخاصة ، أو القيام بواجباته المنزلية ، أو الذهاب الى المدرسة فى ميعادها . لأن الطفل قد فاتته الأوقات المناسبة لتعلم كل هذه الأشياء ووصل الى التسليم بأن غيره سوف يقوم عنه بأعمانه وواجباته ومسئولياته .

وسواء أكان الصغير فى سنته الأولى أم الثانية أم الثالثة — فمن الواجب أن يعطى قدرا من المسئولية عندما يكون مستعدا لذلك — كارتداء الملابس وعنايته بشئون نفسه ، وبالأشياء التى يملكها والقيام ببعض الأعمال الصغيرة حول المنزل ، فهذه هى الطريقة التى يتعلم بها الاتجاه السليم نحو القيام بنصيبه من العمل .

سنو المرحلة الأولى

وكما أن هناك أوقاتا مناسبة ، فى حياة الأطفال قبل دخولهم المدرسة ، يظهرون فيها تهيؤهم لتحمل قدر أكبر من المسئولية ، فان هناك أيضا أوقاتا يظهر فيها الأطفال الذين يكبرونهم سنا استعدادهم لتحمل مزيد من المسئولية.

وما دام الأطفال يتفاوتون فى درجة النمو وسرعةالنضج ومن الصعب أن نحدد متى يصبح هذا الطفل أو ذاك مستعدا لتحمل نوع معين من المسئولية ، فمن الأفضل أن يكون هذا التحديد مستمدا من سلوك الصغير نفسه .

فمثلا ، سترغب البنات فى وقت معين من سنى المرحلة الأولى فى اعداد وجبة للعائلة كلها . وقد يرغب الأولاد فى سن التاسعة والعاشرة فى المساعدة فى تركيب شبكة للباب لمنع الذباب أو بعض أرفف بالمخزن. وهذه فرص جيدة لاعطاء الصغار مزيدا من المسئوليات لا يصح تفويتها . وسوف تدعو الحاجة بطبيعة الحال الى التدخل للتخفيف من طموح الطفل المتزايد ولكن دون أن تثبط همته أو نخدش احساسه.

سيرغب الأولاد والبنات الأكبر سناً فى تحمل مسئوليات أكبر

هذه أم تشك فى قدرة ابنتها ، التى تبلغ التاسعة من عمرها ، على اعداد وجبة يمكن أن تكون مقبولة ، وهى تتردد فى أن تدعها تستعمل السكاكين والأوعية الساخنة . من أجل هذا فكرت فى نوع الوجبة التى تستطيع الطفلة أن تعدها بنفسها . هذه وجبة عشاء من النـوع الذى يعـد للرحلات مما يمكن للفتاة أن تعده دون تعرض لأى خطر ، وقد قامت البنت باعداد الوجبة واستمتعت العـائلة بها كثيرا .

ومع أن الوجبة التى أعدت لم تكن مطهوة الا أن الطفلة كانت سعيدة لأنها تحملت مسئولية ادارة المطبخ وحدها فى احدى الأمسيات .

والأمر بالمثل ، عندما يحاول الولد الصغير القيام بنفسه ببعض الأعمال العادية التى يزاولهـا الرجال ، فانه يجب تشجيعه على تحمل مثل هذه المسئولية . فهذا طفـل فى العاشرة من عمره تطوع لاصلاح ثقب فى اطار السيارة فى صباح يوم العطلة الأسبوعية . ولكن والده قال له . « انى أفضل يا عزيزى أن تترك هذه لى فهى قديمة ومتعبة وأنا أعرف كيف أعالجها ، ولكنك تستطيع أن تنزع « طاسة » العجلة وتفك « الصواميل » وستكون هذه مساعدة كبيرة منك » .

الاعتماد على النفس

هناك أوقات مناسبة كثيرة فى أثناء سنى المرحلة الأولى لتعليم تحمل المسئولية حين يبدأ الصغار فى القيام ببعض الأعمال بأنفسهم دون اشراف الكبار . فمثلا : بين الثامنة والحادية عشرة نجد أغلب الأطفال يسألون عما اذا كان من الممكن أن يذهبوا مع أقرانهم دون اشراف الى احدى المباريات أو الى أحد النوادى ، أو الى السوق ، أو الى حوض السباحة ، وربما نكون قد نسينا نحن الكبار أثر ذهابنا الى السينما وحدنا لأول مرة أو ركوبنا الترام أو أو الأوتوبيس بمفردنا ووقع هذا فى نفوسنا اذ ذاك . ولكن هذه الخبرات هى فى الواقع أوسمة فخار واعتزاز لكل الصغار ، وعلامة من علامات النضوج والاعتماد على النفس.

ومن السهل جدا علينا أن نرفض مثل هذه الرغبات ونقول للطفل . ان جمهور المتفرجين سيبلغ عدة آلاف ، وستكون وسائل المواصلات مزدحمة . واننا لا نطمئن الى تركه وحده ليهرس وسط الزحام . انه يستطيع أن يذهب اليها فى الأسبوع القادم . ولكن الواقع أن سجلات ملاعب الكرة تشهد بتوافر الأمان والسلامة فيها . وان الطفل العادى فى سن العاشرة له مهارة فى القدرة على المرور خلال الزحام بسهولة الخنزير المطلى بالشحم .

والقاعدة العامة ، أن طلبة المرحلة الأولى يمكنهم أن يعنوا بشئون أنفسهم جيدا فى الأماكن العامة ، ويجب أن يسمح لهم بالاعتماد على أنفسهم فى القيام ببعض الأعمال ، خصوصا اذا كانوا فى مجموعة ، أو كان أقرانهم يمنحون هذه الحرية .

وحتى فى حالة تشكك الآباء فى قدرة أطفالهم على القيام أو التصرف بأنفسهم فى موقف معين أو عندما يشعرون باحتمال قيام خطر فان من الأفضل تجنب الرفض الصريح . فاذا رأت الأم مثلا أن طفلتها وهى فى التاسعة لا ينبغى أن تذهب الى السينما ليلا تجنبا لأخطار الطريق فمن الممكن أن تدع الصغيرة تذهب وحدها نهارا ثم يذهب الوالدان لاصطحابها من السينما الى المنزل .

والأطفال الذين يسمح لهم بتحمل المسئولية والاستقلال تنمو عندهم الثقة بأنفسهم نحو مجابهة المواقف الجديدة الصعبة . واذا ما غالى الآباء فى المباعدة بينهم وبين مواجهة المواقف الجديدة فقد ينمو لديهم الشعور بالخجل وعدم الاطمئنان حيال كل موقف لم يحاولوا قبلا مواجهته ونحو كل خبرة لم تمر بهم . وقد قال والد طفل فى الخامسة

عشرة من عمره : « انى أتمنى لو لم يبق جالسا ينتظر منا أن نطلب منه أداء هذا أو عمل ذاك . لماذا لا يحاول الذهاب للسينما ، أو ينضم الى أحد تلك الأندية ، أو يذهب للانزلاق ، أو أى شيء آخر ؟ » . والمدهش أن هـذا هو نفس الأب الذى لم يكن يسمح لابنه فى سن التاسعة والعاشرة بالحرية فى أداء الأعمال عندما كان الطفل يتوق الى أن يقوم بها بنفسه ! لقد حدد الوالد وقتا معينا لتعليم ابنـه تحمـل المسئولية وتهيئته معتمدا على وجهة نظره دون أن يدخل فى اعتباره استعداد ابنه ومقدار تهيئه .

فى سن المراهقة

وتستمر أهمية توقيت تعلم المسئولية فى سن المراهقـة أيضا . وليس صحيحا أن المراهقين فى حاجـة ماسـة الى التشجيع للتصرف بحرية فردية أكثر وتحمل المسئوليـة . فالواقع أنهم يشعرون بأنهم لا يحصلون على قدر واف منها . فهم يريدون تنظيم أوقـاتهم والزمن الذى يصرفونه فى واجباتهم المنزلية . وهم يريدون أن يكون لهم الحرية فى اختيار أصدقائهم . وانتقاء ملابسهم . وانفاق مصروفهم كما يريدون . ويفعلون ما يشاءون فى أثناء عطلتهم الصيفية .

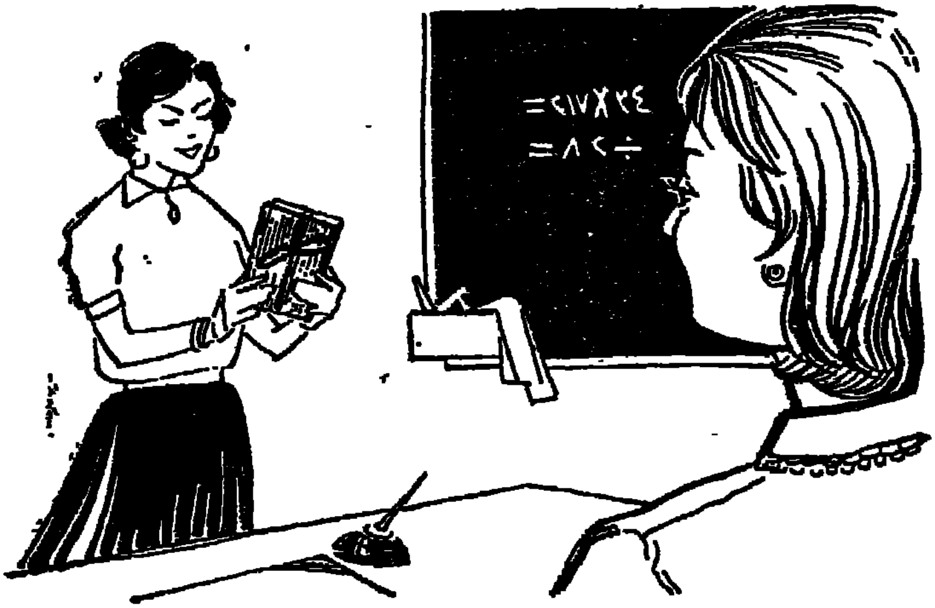

ترك المراهقين لاتخاذ قراراتهم يساعدهم على أن يصبحوا أكثر نضوجاً

ولكن الاستقلال والرغبة فى اتخاذ القرارات ما هى الا جزء من تحمل المسئولية . وتحمل المسئولية هو مسألة احترام الآخرين أيضا . مع عدم التسبب فى الحاق أضرار بالغير لا موجب لها ، والبعد عما يؤدى الى ايذاء النفس أو المجتمع .

وخير المجالات لتعليم المراهق تحمل المسئولية هى تلك التى تشجعه فيها على التفكير فى مسئولياته المستقبلة عندما يصبح زوجا أو زوجة ، أو مستخدما أو والدا .

والمشاكل التى تصاحب سن المراهقة — كالسلوك

الشائن عند مقابلة الناس وقيادة السيارات فى طيش وشرب الخمر أحيانا ـــ كل هذه دلائل على عدم اكتمال المسئولية . وواجب الآباء والمدرسين أن يتحينوا المناسبات المواتية لمناقشة هذه المشاكل مع المراهقين .

وليس معنى هذا أن الأمر يستتبع أن يكون الآباء والمدرسون وعاظا أو متزمتين ، وانما ينبغى أن تكون لهم ثقة وايمان فى المراهقين وأن يوفروا لهم كثيرا من فرص المغامرة والحب العذرى واكتساب الخبرات ، لأن سن المراهقة هو الوقت المناسب لذلك . وكثيرون ممن بلغوا العشرين أو الثلاثين يفتقدون الشعور « بالاستقرار » وهؤلاء فى الواقع يسعون الى اللهو وينشدون الأوقات السعيدة التى فاتتهم فى أثناء المراهقة لسبب من الأسباب .

والمهم هو أن نستفيد من كل فرصة لافهام المراهقين أننا نراهم معقولين فى تصرفاتهم ، وأنهم عقلاء يؤمنون بالاعتدال فيما يصدر عنهم ، وأنهم سوف يستقرون فى أعمالهم ويتزوجون ويكونون مفخرة لأسرهم ومجتمعهم ، وأنفسهم .

وقد يكون أفضل الأوقات لتعليم المسئولية للمراهق عندما يجيب الوالد ابنه فى هذه السن الى طلب ما .

فمثلا ! حينما يطلب الابن فى السادسة عشرة من سنه الى والده أن يستقل باستخدام السيارة لأول مرة ، يمكن أن يكون رد والده « بالتأكيد ، ليس لدى مانع فأنا أعرفه أنك سائق ماهر ، وأنا الذى علمتك القيادة بنفسي . ومع ذلك فهناك نصيحة واحدة أظن أننى فى غير حاجة لذكرها بتاتا لأننى أعلم أن لك ادراكا جيدا — لا شقاوة ولا قيادة بسرعة فطرقنا وسياراتنا لم تبن لتلك السرعة التى يقود بها الصبية السيارات » .

وحينما تسأل البنت فى الخامسة عشرة من سنها والدتها اذا كان من المقبول أن تتنزه مع زميل لها ، فمن الحكمة أن تقول والدتها : « بالطبع يا عزيزتى ولنجلس ولنتكلم فىهذا الموضوع . بأكمله » . ولا ريب أن المناقشة سوف توضح الموقف كله فى ضوء التقاليد السائدة ، ولكن الاقناع سيكون سهلا لأن كلمة « نعم » سوف تسبق كل قيد من القيود التى يفرضها المجتمع .

الميل يولد الفرص

ومن الأوقات المناسبة الأخرى لتعلم المسئولية فى سن المراهقة هو عندما يظهر الابن ميلا جديدا ، أو يطغى عليه شعور بالرغبة فى مزاولة نشاط معين .

فهذا تلميذ عاد الى المنزل من ورشة الكهربا بالمدرسة وخاطب أباه فى حماسة وثقة :

« والدى : اننى أستطيع أن أصنع عينا كهربية ، تفتح باب الجراج بمجرد أن تقود العربة . اننى لا أمزح ، انها سهلة ، وكل ما أحتاج اليه هو الحصول على عين من العيون السحرية » .

وشجع الوالد ابنه على تطبيق بعض المعلومات الجديدة التى حصلها فى المدرسة . وتعاون الاثنان سويا فى أيام العطلات على تخطيط مشروعات جديدة استخدما فى تنفيذها الأدوات الآلية .

وقد وجد الابن — الذى لم يكن يفكر جديا من قبل فى مستقبله — أنه يكوّن نفسه ليكون كهربيا بمساعدة مدرسه فى الورشة ورائده فى المدرسة . بدأ دراسة شاملة للاستزادة مما يتصل بهذا المجال .

مثل هذا يقال عن النوادى والكشافة والجمعيات الدينية وغيرها من الجمعيات الموجهة فكلها تساعد على زيادة الشعور بالمسئولية عند المراهقين .

وتكاد كل ألوان النشاط — من أشغال الخشب الى

كرة السلة والخدمة العسكرية . تؤدى الى مناقشة تحمل المسئولية لدى الشباب فى هذه الأيام بطريقة طبيعية .

والواقع أنه اذا وفرت لكثير من الشبان فرصة الجلوس للتحدث فترة من الزمن ، فانهم سيرحبون بهذه الفرصة لفتح هذا الموضوع بأنفسهم .

واذا تمكن الآباء من الاشتراك أو الانصات الى بعض « دردشة » المراهقين . فقد يجدون فيما يدور بين هؤلاء الصبية والفتيات كثيرا من الأفكار الجدية السديدة . يكون الكثير منها مادة الشعور بالمسئولية ، ويمكن للآباء أو المدرسين أن يفعلوا الكثير للمساعدة على توجيه هذا التفكير الى مسالك بنائية ايجابية .

ان الوقت لم يفت بعد

لقد تكلمنا كثيرا عن الأوقات المواتية لتعلم تحمل المسئولية، ولكن كيف السبيل الا اذا كانت أكثر هذه الفرص قد فاتتك ؟ .

من الغريب أن الأطفال — والناس كذلك بصفة عامة — هم جميعا قابلون للتحسن فلا يمكن أبدا أن تقدم فرصا أخرى لتعليم الأطفال المسئولية . فاذا كنت قد أخطأت فى

توقيتك ، فمن الأفضل أن تواجه الحقيقة ، وبعد ذلك تخطو الى الأمام وتصححها ويمكنك أن تبدأ الآن بل ومنذ هذه اللحظة بالتعرف على أنسب الأوقات — وستجد الكثير جدا منها — لتجعل من طفلك شخصا يعول عليه ويتحمل المسئولية بدرجة أكبر .

مسلّمات

• ترقب أول محاولة يقوم الطفل فيها بمساعدتك أو أداء أعمال لنفسه وشجع هذه المحاولات .

• اثن على الطفل الذى يحاول مساعدتك .

• لا تنتقد أو تسخر من النتائج الرديئة ، بل وجهها وجهة حسنة بالتدريج وفى كياسة .

• اعرف متى يكون الطفل مستعدا لمسئوليات أكبر ثم دعه يأخذها على عاتقه .

• اجعل الشباب يدركون أنك تطمئن اليهم وتثق فيهم .

• حاول دائما أن تهيىء العمل أو الهدف الذى تعتقد أن للطفل فرصة معقولة لتحقيقه .

٣

عندما يكون هناك عمل لتأديته

ان العمل المتواصل دون لعب أو ترفيه يورث البلادة، والعكس غير صحيح ، فاللعب المتواصل دون عمل ، عمل لا يحقق الذكاء أو الاجتهاد ، ولكن الغالب أنه يؤدى الى البلادة أيضا . ويتأثر ذلك بعلاقة الطفل بغيره ، ولا نكاد نجد شخصا — طفلا كان أو راشدا — أبغض الى الناس من ذلك الشخص الذى يحجم عن المشاركة فى كل عمل يجب أداؤه والذى يتهرب من تحمل المسئولية .

وليس فى استطاعة الآباء والمدرسين أن يعلموا أطفالهم المسئولية دون أن يعلموهم المشاركة بنصيب معقول فى بعض الأعمال . ومن الطبيعى أن يتناسب هذا « النصيب المعقول » مع عمر الشخص وقدراته وامكانياته . ولكن يجب ألا يعفى منه أحد . وهذا يعنى ألا تجارى أولئك

الذين يرون أن سن الطفولة هو وقت اللهو واللعب وخلو البـــال .

وان أمام الأطفال فى المستقبل وقتا طويلا مليئا بالمشاق والصعاب . فتعود العمل — كأية عادة أخرى — يجب أن يعلّم ولا ينبغى أن يعد من الصعاب أو الأعباء التى تثقل كاهل الأطفال .

العمل واللعب يسيران جنبا الى جنب

من الممكن أن يكون العمل شائقا ، وأن يحب الطفل القيام بتأديته أعماله الضرورية واتقانها لدرجة كبـيرة اذا تعلم منذ الصغر تقبل العمل كجزء من حياته اليومية .

والسن من الثالثة الى السابعة هى السن التى يكتسب الفرد فيها شعورا بالسعادة والرضا عن اجادة الأعمال التى يؤديها . فاذا لم يكتسب الفرد ذلك فى هذه السن فمن المحتمل جدا ألا يكتسبها فى العشرين أو الثلاثين من سنه ، عندما يصبح العمل لازما لا مناص منه .

وقد يصبح هذا الشخص من نوع العمال غير المخلصين الذين يتعجلون ساعة الانصراف وتمـر بهم الدقـائق والساعات بطيئة متثاقلة حتى يحين موعد الانصراف . وهذا

النوع من العمال يؤدى عمله ناقصا وفى استخفاف . أى ان عمله لا يحقق له أى شعور بالرضا .

ومن الوسائل التى يمكن أن تكون اتجاها ايجابيا نحو العمل . أن يكتسب الفرد عادة الميل للعمل فى سن مبكرة، وأن يقوم بأعمال فى قدرته أن يؤديها وأن يحصل على الرضا من تأديتها .

ومن الآباء من لا يميل الى الضغط على أبنائهم أو تأديبهم . وهم يرون أن واجب المدرس أن يدربهم على أداء أعمالهم وعلى اجادتها . والواقع أن هذا لا يعد حنوا من جانب الآباء أو عطفا على الأبناء ، لأن انتظار المدرسة فى الغالب سوف يطول الى أن توفر الحزم والحفز الضروريين لتعليم المسئولية للطفل . وقد يتعلم الطفل فى هذه الأثناء حيلة الاكتفاء بالجهد الذى يكفى لمجرد الاستمرار فى العمل فلا يتم منه غير الحد الأدنى ، بدلا من أن يبذل قصارى جهده ، أو قد يصبح غير مبال بدرجة يصعب معها على المدرسين أن يمدوا له يد المساعدة أو يستثيروه لأداء أعمال يميل اليها . وقد يقع الطفل فى حيرة مما يراه من والديه ومدرسيه من اتجاهات متعارضة عن المسئولية .

توفير العمل المناسب للأطفال

يعتقد بعض الناس أن عالمنا الأوتوماتيكى يتيح للأطفال فرصا محدودة لمجالات العمل التى تناسبهم ، شعورنا بأن «أيام زمان الطيبة» كانت تهيىء للصغار فرصا أكثر للمعاونة على أعمال المنزل لا يعدو أن يكون تبريرا لقصور أفكارنا وتخيلاتنا .

ففى أثاث كل منزل ـ صغيرا كان أم كبيرا غنيا بالأدوات الآلية ـ تجد أعمالا كثيرة للأطفال فى جميع الأعمار ، وكثيرا من المنازل ليست مزودة بأدوات آلية مثالية يسهل تشغيلها كتلك التى نراها فى السينما ، أو نقرؤها فى المجلات .

فالطفل فى سن الثانية ليس أصغر من أن يختار لعبة ، وفى سن الثالثة يمكنه تفريغ منفضة السجاير وتجفيف الأوانى والأطباق ، والأطفال فى سن الرابعة يمكنهم أن يساعدوا على تنظيم مائدة الطعام وتعليق ملابسهم ... مشاجب « شماعات » منخفضة والذهاب الى المتاجر ... لا تستلزم عبور الطريق . وفى سن الخامسة يمكنهم ... يلاحظوا اخوتهم وهم يعتنون بحيواناتهم المدللة .

ومثل هذه الأعمال « السريعة » هى أفضلها بالنسـ... للأطفال دون سن الذهاب الى المدرسة ، فهى بسيـ...

ولا تحتاج الى وقت طويل ، اذ أن الأطفال فى هذه السن يفقدون ميلهم بسرعة جداً ، وليس المهم هو دقة العمل وانما المهم هو اقدامهم لانجاز مسئولياتهم اليومية برغبة وفى أمانة . وطبيعى أن تكون هذه المسئولية متناسبة مع سن الأطفال أو قدراتهم . ولا ينبغى أن تتوقع من أطفال فى سن الثالثة والرابعة أن يتذكروا مسئولياتهم تلقائيا من يوم لآخر بل يحتاج الأمر الى تذكيرهم مرتين أو ثلاث مرات فى بعض الأحيان .

الأعمال المنزلية لأطفال المرحلة الأولى

ومن الممكن أن تتوقع من طفل فى سن المرحلة الابتدائية تنظيم فراشه ، ولكن ربما احتاج الأمر الى مساعدته يوم تغيير ملاءات سريره . ويمكنه كذلك أن يذهب بانتظام الى البقال ، ورى الحديقة ، والعناية بحيوان أليف ، وغسل السيارة ، ومن الممكن أن يقوم بتوزيع الجرائد أو بأى عمل لا يتطلب منه جهدا كبيرا بعد الانتهاء من يومه المدرسى . ويمكن للفتيات تحضير مائدة الطعام وتنظيفها ، وغسل الأطباق ، وكى الملابس البسيطة ، وتنظيف الأثاث من التراب وكنس الأرضية ، وغسل ملابسهم المصنوعة من النايلون أو الصوف .

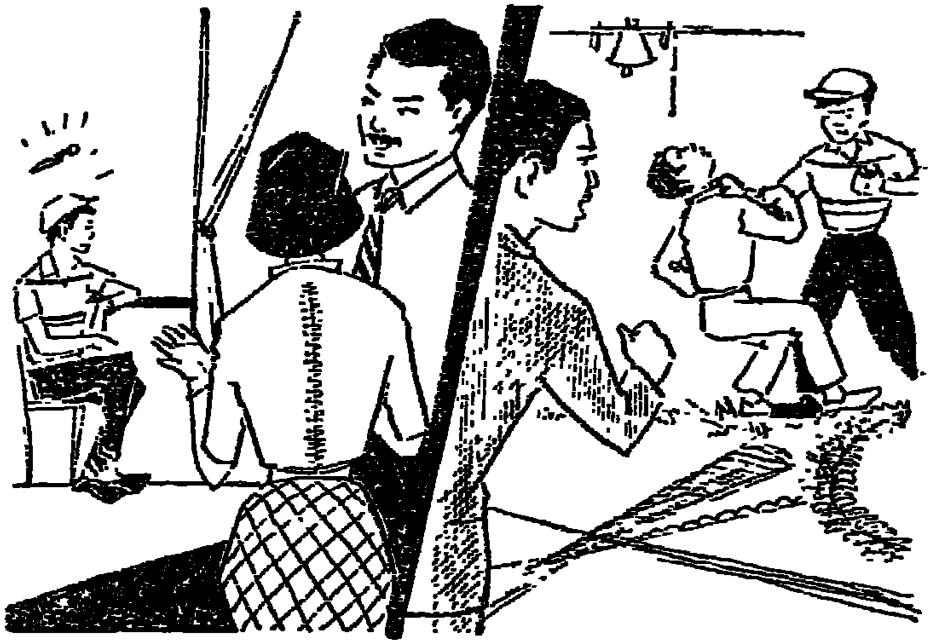

يمكن لطفل المرحلة الابتدائية أن يعطى لوالديه فرصة للراحة والاستجمام

الأعمال المنزلية لسن المراهقة

اذا ما بلغ الطفل سن المراهقة ، ينبغى أن يكون قد تعود المعاونة على شئون المنزل بحيث يصبح تقديم يد المساعدة طبيعة ثانية عندهم . لكن أغلب المراهقين الذين تكون ميولهم وألوان نشاطهم متنوعة لدرجة كبيرة يميلون قليلا الى التخلص من المسئولية . وقد يقول المراهق لنفسه — خصوصا اذا وجد أطفالا أصغر منه فى المنزل — : « لقد سبق أن قمت بنصيبى عندما كان الباقون صغارا لا يقدرون على القيام بشىء — وعليهم الآن أن يتسلموا العمل » .

ومن الحلول الممكنة لهـذه المشـكلة تخصيص وقت للنشاط الخارجى ، فاذا كان هناك اجتماع للكشافة مساء الثلاثاء فمن المؤكد أنه ليس من العدل أن يحجز الابن الذى عمره أربع عشرة سنة لأن عليه أن يقوم بغسل أطبـاق العشاء فى هذه الليلة .

ويقترح هنا تغيـير ذلك ويجب على الآباء أن يراعوا ارتباطات المراهقين الخارجيـة اذ كان هؤلاء يتـذكرون التزاماتهم وواجباتهم نحو المنزل .

ويمكن للفتيات المراهقات اعداد الطعام والقيام بكثير مـن عمليات الشراء فى يوم العطلة ، وكتـابة الحسـابات وتحرير الشيكات لمصروفاتهم الشهرية . ويمـكن للأولاد الأكبر سنا العناية بالنوافذ وفرن الماء الساخن ، وأن يتأكدوا من انتظام تشحيم السيارة والمحافظة على نظافتها .

ومن المهم بصفة خاصة أن يعهد اليهم ببعض الواجبات المنزلية التى تظهر أهميتها لهم والتى تتناسب مع مستوى نضجهم . فالصبى فى السادسة عشرة من سنه لا يجب عليه أن يغسل السيارة فقط ، بل يجب أن يسمح له بالاشتراك مع والديه عند مناقشة موضوع شراء سيارة جـديدة أو

اصلاح السيارة الحالية . والفتاة المراهقة لا يجب عليها أن تكنس الأرضية وتغسل النوافذ فقط بل يجب أيضا أن يكون لها رأى فى تقرير نوع الستائر والأغطية . ولون الحوائط عند اعادة تجميل المنزل .

الأسبقية لأعمال نصف الوقت الخارجية

لا ينبغى أن تقف الأعمال المنزلية — اذا كانت الأحوال فى المنزل تقتضى ذلك — فى سبيل حصول المراهقين على عمل بعض الوقت — ككاتب فى متجر أو موزع أو عامل فى محطة بنزين .

وعلى كل فالعمل بعض الوقت مورد دخل ومصدر احترام المراهقين ، وغالبا ما يكون مشوقا أكثر من العمل المنزلى ، وقد يكون له قيمة فى توجيهه الى الحرفة التى يزاولها فى المستقبل . والقيام بأداء الأعمال المنزلية يساعد الطفل على تعلم التعاون والاشتراك مع الآخرين ، وعلى تنمية الشعور نحو كرامة الأسرة وترابطها . ولكن العمل الخارجى الذى يحصل منه على أجر له قيمته الأكيدة فى تعلم الشعور بالمسئولية . ويجب أن يسمح بالتدريج للمراهق اذا ما رغب فى ذلك . بوقت أكثر لعمل خارجى وبوقت أقل للعمل المنزلى .

عمل الرجل وعمل المرأة

من المألوف أن يتحدث الآباء والمدرسون عن عمل الرجل وعمل المرأة ، وكأن كل الأعمال قد ميزت بفواصل وقسمت بعناية الى قسمين قسم للرجال وآخر للنساء . فنحن في أيامنا هذه أكثر حساسية لكل ذلك من ذي قبل .. !

ونحن نعلم أن الرجل لا ينقص من قيامه بالمساعدة فى غسل الأطباق أو صنع بعض الفطائر صباح يوم العطلة الأسبوعى . وان الفتاة التى تقوم باصلاح بعض الأدوات الكهربية لا تعد خارجة على مقتضيات أنوثتها .

و « تلميع » أرضية المنزل من وقت الى آخر هو عمل مناسب جدا للفتيان والفتيات ، وهو يساعد على تغيير الأعمال الرتيبة التى يعارضها الأطفال لدرجة كبيرة . فالفتيان يطهون طعاما جيدا (يوجد الآن فى كثير من المدارس جمعيات للطهى للأولاد) ومن المفيد أن تكون للفتى قدرة على الطبخ فهذا يساعد عندما يشترك فى الحفلات أو المعسكرات . واذا كان للوالد شغف بأسلوب معين فى « تحويج » الطعام فانه لن يخجل اذا ما تردد على المطبخ من وقت لآخر .

ومن المؤكد أن الفتاة ستكون أكثر نفعا اذا كانت لديها

فكرة عن استعمال « الشاكوش » والمفك ، ويمكنها اصلاح صنبور أو باب مخلوع ، فان ذلك سوف يفيدها طوال حياتها .

وكلما زاد تنوع العمل الذى يستطيعه الشباب بكفاية فائقة كان ذلك أفضل فى عالمنا الذى تسوده الآلة الآن . وينتشر فيه اشتغال المرأة بالعمل فى مختلف الميادين . وكل هذا يحتم أن يشارك الآباء فى ادارة المنزل وفى تربية الأطفال .

تجنب الوتيرة الواحدة فى الأشغال المنزلية

جميل أن يقال ان على الأطفال أن يؤدوا أعمالا فى المنزل ، ولكن ما العمل اذا ما تهربوا من التزاماتهم أو أهملوا فيها ؟ .

الواقع أن مثل هذا يقل حدوثه بدرجة كبيرة اذا نوّع الآباء من الأعمال التى يكلفون بها أبناءهم . وأعطوا للصغار بعض الحرية فى اختيار الأعمال التى يقومون بها . والعمل الذى يتكرر يوما بعد يوم سرعان ما يصبح متعبا ولا يتيح للطفل فرصة استعمال قدراته الى أقصى حد ولا يمكنه من اكتشاف ميوله المختلفة . .

واذا ما ضاق الأطفال بعمل من الأعمال فمن المرغوب فيه أن نعطيهم أعمالا جديدة ، فالعمل الواحد لمدة أسبوع واحد فقط قد يضايق الطفل الذى فى الثامنة أو التاسعة ، ومن الأفضل بقدر الامكان تكليف الأطفال بالأعمال التى تتحدى قدراتهم . فتلك البنت التى كانت بادىء الأمر شديدة التحمس لتحضير مائدة الافطار كل يوم أحد أخذت تفقد اهتمامها بهذا العمل بعد عدة أسابيع وظهرت بوادر الاهمال فى عملها . وعند ذلك تدخلت الأم فى الأمر بحكمة فوكلت اليها طهو طعام الافطار ليوم العطلة ، وأعفتها من تنظيف المائدة والأوانى بعد ذلك . وقد وجدت الطفلة هذا العمل أكثر اثارة وتشويقا لدرجة كبيرة — من عملها السابق .

لنعمل سويا

وهناك نقط أخرى هامة ينبغى ألا نغفلها تحاشيا للمتاعب والمضايقات ، منها أن عمل الأطفال ، خصوصا قبل سن اللحاق بالمدرسة ، يتحسن كثيرا اذا كان هناك من يعمل معهم . وفى أيامنا هذه يغلب أن يكون الكبار مشغولين بأعمال أخرى ، ولهذا لا تتوافر الفرص الكافية التى يعمل الآباء فيها مع أطفالهم جنبا الى جنب ، وهذا على عكس

الحال منذ أجيال قليلة مضت ، ومن السهل على الطفل فى الرابعة أو الخامسة من سنه أن ينظف بعض قطع الأثاث ، أو يلمع حذاءه اذا كان والده أو كانت أمه تعمل الى جانبه فى نفس الحجرة وتعلق على عمله من وقت الى آخر بالتقريظ والتشجيع .

ويجب أن تتناسب المعدات مع نوع العمل ، فقد يحتاج الطفل الصغير الى مقعد منخفض حتى يستطيع غسل الأطباق ، وقد تكون مكنسة من الحجم المتوسط ضرورية فى هذا « المساعد الممتاز » .

وهناك شيء آخر وهو أن الأطفال يعملون برغبة وسعادة أكثر اذا كان الوالدان مقبلين على أعمالهما المنزلية بنفس راضية ، أما التعليقات الآتية من الأم مثل: «آه ياعزيزى هناك أطباق أخرى لغسلها » . أو « ان المحافظة على نظافة هذا المنزل تتقاضانى الكثير من صحتى » . لا تؤدى الى توجيه الأطفال على العمل فى سعادة أو رضا بالواقع . واذا أدى الآباء أعمالهم بسرعة فان الأطفال سيفعلون ذلك أيضا .

ويجب فى نفس الوقت أن يكون للطفل الحرية فى التعبير عما يفضل أو يكره من الأعمال المنزلية فعندما كانت توزع بعض الأمهات العمل على أطفالها الأربعة كانت تجعل كل

واحد منهم يعدد ثلاثة أعمال « يفضلها » وعملا واحدا فقط (يكره) أن يقوم به . وهذه الفكرة سليمة الا أن هناك بعض الأعمال يحبها جميع الأطفال وبعضها الآخر يكرهه جميعهم أيضا .

ويمكن أن يعطى الأطفال الأعمال التى فضلوها بقدر الامكان ثم توزع المكروهات بالتبادل حتى لا يهرب منها أحد ولا يرتبط بها واحد من أفراد العائلة لعدد أكبر من المرات .

المتنصلون من الأعمال المنزلية

ما هو موقف الطفل الذى يتنصل من عمله ؟

ان ترك الطفل يتحمل النتائج الطبيعية لتنصله هو عادة أكثر الحلول الفعالة لعلاج تلك الحالة .

فهذه بنت كان عليها أن تقوم بغسل ملابسها الداخلية وجواربها ولكنها تهربت من ذلك بوضعها فى سبت الغسيل، وقد أنبتها أمها ولكن دون جدوى . وأخيرا تركتها حتى تراكمت ملابسها المتسخة ، ولم تجد البنت صباح أحد الأيام ملابس نظيفة ترتديها .واضطرت الى أن ترتدى ملابسها المتسخة ، وكان هذا درسا ناجحا فى اصلاح موقف لم تجد فيه التنبيهات الكثيرة والتأنيب كل يوم :

وهذا ولد كان عليه أن يمر على المخبز كل مســاء فى طريق عودته من المدرسة الى المنزل ويشترى رغيفا « ولكنه ظل ينسى ذلك » وذات مساء وجد أن عشاءه لا يزيد على بضع كسرات من الخبز مع الجبن . ووزع الجزء المحدود من الخبز الطازج على الأطفــال الآخــرين ، فتحسنت ذاكرته لدرجة كبيرة كنتيجة لتلك الخبرة .

متى يجب تقديم المساعدة فى الأعمال المنزلية ؟

من الحكمة أن تراجع أعمال الطفل حتى يمكن اصلاح النقص فى حضوره ، ويجب على الآباء أن لا يمروا ببساطة على العمل الردىء ولا يقوموا هم بأدائه أو اعادة عمله . اذا ما كان أداء هذا العمل بطريقة حسنة فى حدود قدرة الطفل. وقبول العمل الردىء يحرم الصغير من الفرصة لتعلم العمل التعاونى وتنفيذ عمله تنفيذا مجديا .

ومن الطبيعى أنه يلزم أن يكون الآباء متساهلين وعلى شىء من المرونة نحو موضوع الأعمال المنزليــة . فحينما يكون حمل الواجبات المنزلية ثقيلا . أو كان على الطفل أن يبذل مجهودا خاصا فى استذكار احدى المواد الدراسية .أو جد موعد آخر لحظة ، فمن المعقول عندئذ أن تقدم للأطفال يد المساعدة ، أو تتولى القيام بكل هذه المسئوليات . وهذه

هى احدى الطرق التى يتعلم بها الطفل درسا هاما فى اخراج فرد من ورطته . وفى أى منزل ، مهما صغر حجمه ، توجد أعمال يومية لا حد لها تحتاج للأداء . واذا قدم كل أفراد العائلة يد المساعدة فان ذلك يزيد من ترابطها ويؤدى الى حسن ادارة المنزل كما يوفر وقت فراغ أكثر لكل فرد من افراد الأسرة ، وهذا خير للآباء والأطفال .

وليس من المستحسن أن تعطى للأطفال فرصة التهرب من واجباتهم المنزلية .

مسلّمات

• امدح الطفل لأدائه الحسن ، فهو يتطلع الى علامات الرضا ويضيق بالنقد .

• بيّن للطفل بوضوح أن مساعدته تنفع العائلة .

• بدّل الوجبات المنزلية اذا تضايق الأطفال منها ، أو أهملوا فيها .

• قسّم العمل بالتساوي بقدر الامكان ، بالنسبة للسن وبالنسبة للقدرة والميول .

• خطط بعض المفاجآت ، فمثلا أعف الطفل من واجباته بين حين أو آخر أو أعط أحد أيام آخر الأسبوع كعطلة من جميع الأعمال المنزلية .

• تذكر أن اتجاه الآباء نحو العمل ينعكس دائما على الأطفال .

٤

الثواب والعقاب

يميل الناس الى عمل ما يريحهم ويتجنبون ما يؤلمهم أو يجر عليهم المتاعب . وليس هناك غرابة فى ذلك ، ولكن العجيب أن كثيرا من الآباء والمدرسين لا يفيدون من هذه القاعدة فى تربية الأطفال .

ومؤدى هذه القاعدة أن تلك المسئولية لها صورة مرحة .

والشعور بالمسئولية يدعو أساسا الى السرور ، فهى لون من ألوان المرح اذ تعطى شعورا بالارتياح والايفاء ، وتشعر الانسان بأهميته وفائدته ، وهذه كلها أحاسيس طيبة ، وهى فى حد ذاتها مجزية ترضى النفوس وفوق هذا لأننا نستطيع أن نثيب الأطفال عن شعورهم بالمسئولية بالمدح والتقدير .

وفى دراسة شاملة لتورما ا . كنز ونيقولاس موصلى ، سئل بعض الأطفال عن شعورهم اذا ما مدحوا . فكانت أغلب الردود :

« الاطراء يملؤنى شعورا طيبا وأود أن أعيد نفس العمل ثانية » وقال طفل آخر : « ان الاطراء جعلنى أشعر وكأنى « ملك العالم كله » .

وأجمع الآباء الذين اشتركوا فى هذه الدراسة على أن « الاطراء يحدث العجائب » . وقالت احدى الأمهات — وكان طفلها سعيدا ويقوم بأعمال نافعة ، وغير أنانى ، ويسهل العمل معه ، وقابل للتكاليف فى المنزل والمدرسة — : « ان الاطراء هو أفضل طريقة للتعامل مع كل الناس — رجلا كان أو امرأة أو طفلا » .

الاطراء فى المدرسة

يلجأ المدرسون الصالحون جميعا الى اطراء الأطفال وتشجيعهم ، وهم يصلون من وراء ذلك الى نتائج طيبة . والمدرس الذى يكثر من التعنيف والتجريح ويقتصد فى الاطراء والتشجيع يندر أن يكون ناجحا فى عمله . وقد تصدم احدى المدرسات عندما يطرق سمعها تعليق أطفال

فصلها عنها من فناء المدرسة بقولهم « انها أقدر على استخراج المآخذ من أية مدرسة أخرى ! . وهل يستطيع أحـد أن يعمل ما يرضيها » .

وقد آلمها ذلك التعليق أشد الايلام ، ولكن تأكد لديها أن هذا الفصل ما هو الا محكمة لمحاكمتها ، وكان هـذا الفصل مصدر تعب لها من البداية . وطبيعى أنها لم تكن تقوم باطراء أطفاله بتاتا ، فهى لم تر منهم ما يستحق الاطراء ويحتمل — من ناحية أخرى — انهم وجدوها غير مشجعة للغاية .

وفى اليوم التالى دفعتها محاولة الدفاع عن سمعتها الى أن تبدأ درسها بالابتسام وأخذت تشير الى حسن مظهـر الأطفال ونشاطهم وذكائهم ونظافتهم . وقد أجابهـا بعض الأطفال بأن مظهرها حسن أيضا . وبدا السرور على الفصل كله وداخلهم العجب من هذا التغير . وظنـوا أن هـذه مصادفة ، ولكن ذلك اليوم مر بسلام وتحسنت العلاقـة باطراد بين المدرسة وأطفال الفصل من ذلك الحين .

وقد سجلت المدرسة فى تقريرها : « اننى أصبحت أطرى الأطفال لأقل شىء يؤدونه أداء حسنا ، ونتج عن ذلك نقص فى أخطائهم — وقد بدأ أحد الأطفال فى الأيام الأخيرة —

وكان أكثرهم ازعاجا لى — فى الانتظار بعد المدرسة لمساعدتى فى تنظيم حجرة الدراسة . وحينما سألته عما يدفعه الى ذلك قال : « اننى أشعر بسعادة عندما تقولين اننى مساعد لك » .

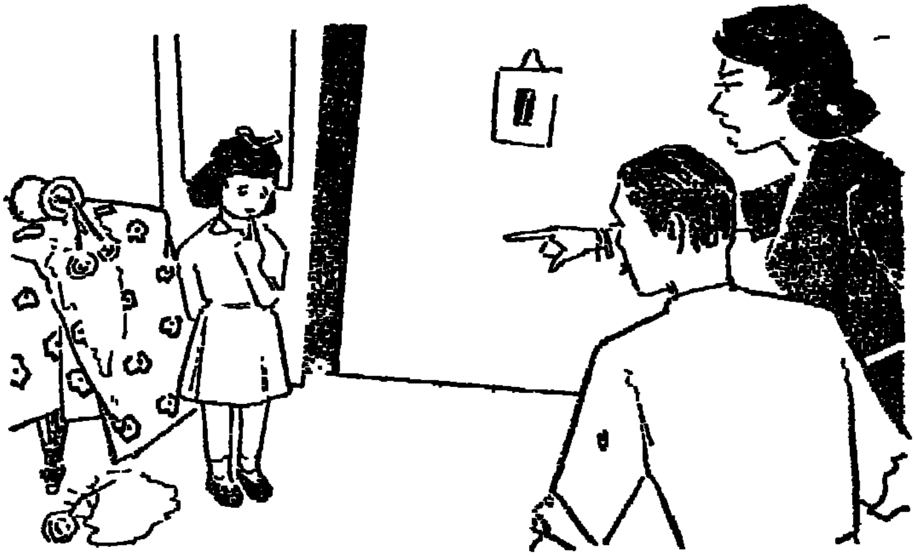

قليل من الاطراء يساعد على زيادة ميل الأطفال للتعاون لدرجة كبيرة

وهناك حالة طفل آخر كان مبعث متاعب كثيرة للمدرسة كلها ، للمدرسين والأطفال على السواء ، فكان مكايدا مجلبا للشجار سليط اللسان ، وعلى العموم لم يكن مقبولا من الجميع . وكان واضحا أنه لم يكن سعيدا ولم يكن يعرف كيف يكوّن لنفسه أصدقاء وكيف يسلك سلوكا مرضيا .

ولكن احدى المدرسات اللائى يدركن مشاكل الأطفال،

جعلت هذا الطفل المكروه يشعر بشرف الانتظار بعد المدرسة بضع مرات لاطعام الأرانب ، وبدأت المدرسة تصادقه . وفى أحد الأيام اقترحت عليه أن يكونا معا جمعية وظيفتها أن يقولا شيئا أو يعملا عملا حسنا لثلاثة أشخاص ، ثم يجتمعان بعد الدراسة ويقدمان تقريرا عما قاما به . ومع اهتمام المدرسة واطرائها له قلّت معاكسة الطفل ومشاغبته وتعلم كيف يسير فى وئام مع الأطفال الآخرين .

ثواب أم رشوة ... ؟

ان اتمام الأعمال يستحق الاطراء دائما ، ولكن من المؤكد أننا لا ينبغى أن نرشو الطفل ليكون ولدا طيبا أو ليضطلع بمسئولياته ، فنحن نخاطر عندما نحدد لسلوك الطفل قيمة مادية ، لأن الطفل قد يرى أن الثمن الذى يحصل عليه لحسن سلوكه لا يوازى الجهد الذى يبذله .

فهذه طفلة كان والدها يعطيها قرشا فى مقابل اطفاء مصباح حجرتها عند الساعة التاسعة ، وقد ظلت الطفلة تذهب لفراشها فى الميعاد المحدد ثلاث ليال وتأخذ القرش ، وفى الليلة الرابعة قالت قبل ذهابها للفراش : « لقد صرفت نقودى فى شراء المجلات الهزلية ، أما الليلة فاننى سأقرؤها ، ولا حاجة بى لنقود أخرى » .. ؟؟

فواجبنا اذن أن نسعى الى تعليم الأطفال نظاما معينا من السلوك ، لا بغية الحصول على ثواب معين ، وانما لأن اتباع ذلك صائب وضرورى فى الوقت نفسه ، وعلى هذا فلا يصح أن تقدم لأطفالنا بعض الحلوى كثواب مقابل استجابتهم لتناول صنف من الطعام نراه ضروريا أو أساسيا فى وجباتهم ، اذ ليس من المقبول أن نسوق الأطفال الى الاعتقاد بأن عناصر الغذاء اللازمة مؤلمة وذات طعم لايستساغ ،وأنهم يجب أن يثابوا اذا تناولوا أصنافا معينة. فالطعام فى حد ذاته يمكن أن يكون جيدا ولذيذا ، واذا نظر الآباء الى الطعام على أنه شيء ممتع ، انتقلت هذه النظرة الى الأطفال أيضا ، ويجب أن يسود أوقات تناول الطعام جو من البهجة والسعادة بدلا من الشدة والتوتر والرغبة فى الانتهاء بأقصى سرعة ممكنة .

متى يكون العقاب ضروريا ؟

ان قاعدة البهجة والسرور لها جانب عكسى يمكنه أن يكون ذا أثر فى التعليم . فاذا جعل القيام بعمل ممنوع مؤلما للغاية تردد الطفل فى اعادته .

وعلى وجه العموم لايمكن تنشئة الأطفال دون استعمال قدر معين من العقاب ، ولكن كلما كان الوالد أو المدرس أكثر حكمة قلت الحاجة الى استخدام العقاب .

والتجاء الوالد أو المدرس الى العقاب يعتبر اعترافا بالهزيمة مؤداه أننا لم تتمكن من تحقيق أغراضنا باستعمال أية وسيلة أخرى ، أى اننا عجزنا عن توجيهه وجهة حسنة وعن معاونته على تنفيذ ما يتوقع منه بأية طريقة أخرى .

ويقول الآباء عادة عندما يهمون بضرب أطفالهم «انهذا سيؤلمنى أكثر مما يؤلمك » والواقع أنه اذا اضطر البالغ لضرب طفله يجب عليه أن يعاقب نفسه لفشله .

ومع ذلك فمن الضرورى فى بعض الأحيان أن يعاقب الطفل كوسيلة لتعليمه سلوكا أفضل . كيف يمكن اذن أن يكون لعقاب الطفل أثره المساعد على تنمية الشعور بالمسئولية بدلا من تعويقها ؟

إن الغرض من العقاب هو التعليم ، وليس للتنفيس عن غضبنا وقنتنا

العقاب غير الجدي

فلننظر أولا الى نوع العقاب الذى تدل الخبرة على عدم جدواه ؛ بل ان ضرره محقق . فهذه بنت وجلة للغاية ، وكان المفروض أن تعود الى المنزل مباشرة بعد انتهاء اليوم المدرسي ؛ والظاهر أن هذا طلب طبيعي وبسيط بالنسبة الى طفلة في السادسة من عمرها . ولكن حدث فى أحد الأيام أن مرت عربة المدرسة على المنزل ولم تنزل منها ، بل ولم تعد الطفلة الى المنزل الا بعد الساعة السادسة . وقد بررت تأخرها بأنها ذهبت الى منزل صديقتها لترى عروسها الجديدة، وأنها كانت تزمع أن تبقى هناك بضع دقائق ولكنهما بدأتا فى اللعب سويا واستغرقتا فيه دون أن تشعرا بمرور الوقت.

ولم يقنع الأم ذلك التبرير فضربتها وأدخلتها الى حجرتها وحرمتها من اللعب بعد الانتهاء من المدرسة لمدة أسبوع . وقالت الأم لابنتها انها كانت غير مطيعة وانها جعلتها « تكاد تجن بسبب القلق عليها ، وانها اذا لم تعد كل يوم الى المنزل بعد الانتهاء من المدرسة مباشرة فستكون العقوبة أشد . وقد خففت تلك العقوبة كثيرا من قلق الأم الذى كان مكبوتا ولكنها أضرت بالبنت ضررا بالغا . فقد بدأت هذه تضطرب لأقل تأخر فى الوصول الى المنزل بعد المدرسة . فكانت تضطرب عند انتظار اشارة المرور لعبور الطريق.

مثلا ، اذا ما تعطلت عربة المدرسة فى أحد الأيام ، وكانت تبكى خوفا من الضرب اذا وصلت متأخرة للمنزل .

ومن الواضح أن نوع العقاب فى هذه الحالة لم يكن مناسبا لنوع الخطأ ، وكل عقاب يجب ألا يخيف الطفل كثيرا من غضب والديه حتى لا يشعر أنه مهدد باحتمال اغضابهم فى كل المواقف الأخرى .

وقد يلجأ كثير من الآباء الى التعنيف بدلا من العقاب المعروف ، ومع ذلك فالتعنيف المتكرر يفقد تأثيره . وحينما يصبح التعنيف المستمر سلسلة من المضايقة والنقد ، فقد يؤدى ذلك الى أن يفقد الصغير احترامه لوالده أو مدرسه.

وهناك حالة ثانية فهذا طفل فى العاشرة من سنه يقول عن والديه : « انهما يصرخان دائما فى وجهى وينظران الى كل ما أفعل على أنه خطأ . فماذا يهمنى بعد ذلك . ؟ لقد كسرت ذات مرة زجاج النافذة عن غير قصد وما ان حدث ذلك حتى تأكدت أنهما لن يستمعا الى ما أقول فى هذا الموضوع. لكنهم اذا كسروا هم طبقا اعتبروا الأمر مصادفة ، ولو حدث ذلك منى لكان ذلك لأنه طفل ردىء . اننى بصراحة أسلم أمرى الى الله » .

وليس من شك فى أن مثل هـذا التعنيف لا يمكن أن يؤدى الى الغاية المرجوة من حيث تعليم الطفل الشعور

بالمسئولية ، فالغضب المستمر والتعنيف المتصل قد يساعدان على تكوين استجابات مشـابهة لدى الطفل يتسبب عنهما سلوك غير سوى كالاستهزاء . فقد قال أحد الأطفال : « انهم يسلقوننى بألسنتهم ، وأنا أدع كلامهم يدخـل مـن أذن ويخرج من الأخرى ، ويمكن أن أبدو كما لو كنت متأسفا مع أننى لا أستمع الى كلمة واحدة مما يقولون » .

العقاب المجدى

ان أفضل علاج لمظاهر الاستهتار هو ترك السيىء يتحمل تبعة سلوكه . فالحياة هى التى تحسن سلوكنا جميعا وهذه قاعدة وان كانت قاسية الا أنها عادلة ، حتى ولو كانت مدعاة لتذمرنا . فاذا ترك الطفل دراجته فى المطر ، فسيكون واجبه أن يقوم بتنظيفها من الطين والصدأ ولو قضى فى ذلك بضع ساعات ، ان هذه العقوبة سوف يتعلم منها أكثر مما يتعلمه من أى جزاء وقعه عليه والداه .

والعقاب الصحيح فى المدرسة ينبغى أن يتمشى مع هذه القاعدة ، فأخطاء التهجى أو أخطاء حل المسائل الحسابيـة يجب أن تعاد صحيحة . وفى الاختبارات تكون الأخطـاء سببا فى حصول التلميذ على درجة من الخبرة أو راسبة .

والأطفال يعتبرون ذلك عدلا ويتقبلون فكرة التألم من النتائج المنطقية لأخطائهم كشىء طبيعى ويتعلمون من هذه الطريقة فى العقاب ألا يقعوا فى الأخطاء السابقة ثانية .

ويمكن للآباء الاستفادة من هذه الطريقة فى العقاب المنزلى .

فمن النادر أن تحدث معارضة لا لزوم لها حينما يجد طفل أن عليه أن يدفع — ولو جزءا رمزيا — ثمن زجاج النافذة التى كسرها ، أو اذا تخلف عن رحلة ما بسبب عدم تقديره لضرورة الاستعداد لها فى الوقت المناسب .

وتنطبق نفس القاعدة عندما يطلب من الطفل اعادة عمل ردىء وتقديمه فى صورة أفضل . وبهـذه الطريقة ، يتعلم حكمة بذل أقصى ما يستطيع من اجادة العمل من أول مرة ، سواء أكان ذلك فى المنزل أم فى المدرسة . وهذه هى أفضل وسيلة لاظهار عدم تحمل المسئولية فى صورة العبث وعدم الجدوى بالنسبة للطفل .

وعلى كل ، فهذه هى الصورة السلبية لهذه الناحية ، فمع أن العقاب ضرورى فى بعض هـذه الأحيـان ، الا أن تعلم المسئولية يمكن أن يتم بطريقة أفضل اذا أظهرت فى صورة جذابة ولها قيمتها . فالأطفال يحبون العمل السار ، ويمكن للآباء والمدرسين أن يساعدوا على ذلك بالاهتمام بالاتجاهات الايجابية لتوكيد الشعور بالمسئولية وبأن يكونوا هم أنفسهم قدوة فى تحمل المسئولية .

مسلمات

• أطر أكثر مما تعاقب . وأطر المجهود الذى يبذل مثلما تطرى نتيجة التنفيذ ، فبذل قصارى الجهد يدل على الشعور بالمسئولية حتى ولو لم تكن النتائج كاملة .

• لا تستمر فى العقاب على نفس الخطأ . فاذا استمر الطفل فى اعادة خطأ معين فمن الحكمة أن نتريث ونبحث ونبذل الجهد لفهم سبب سوء سلوك الطفل .

• لا تهدد بشىء لا تنوى تنفيذه ، فالانذار كثيرا ما يكون مفيدا . ولكن يجب أن تكون مستعدا لاتخاذ موقف حازم .

• ليكن اطراؤك صادقا ، فالأطفال يدركون الاطراء الزائد بسرعة .

• الرشوة خطأ . فانها يمكن أن تؤدى الى عكس النتيجة وتسبب ضررا أكثر مما تفيد . فهى قد توحى للطفل بعكس ما تريد وقد تعنى أن يكون هناك ثمن للسلوك الطيب والشعور بالمسئولية .

● صدق الطفل وثق به ، واجزه على نواياه الحسنة . اعتقد فى أحسن الأشياء عنه وغالباً ما ستحصل منه على أفضل أداء ممكن

٥

دفع الطفل معناه توقع القليل جدا منه

فى احدى حفلات الشاى لمجلس الآباء دارت بين اثنين من أمهات التلاميذ المناقشة التالية : قالت الأم الأولى — فى شىء من التفكير : « ان طفلتك تشبه سيدة صغيرة ، وهى تتصرف تصرف البالغين ، وأتمنى لو أمكننى أن أقول ذلك عن طفلتى ، ولكننى أعرف من خبرتى بها أننى لا أستطيع الاعتماد عليها فى شىء » .

وحاولت الأم الثانية مجاملة الأم الأولى فقالت : — « ان طفلتك سوف تكبر وتجتاز هذه المرحلة » ثم أضافت فى زهو — : « من الطبيعى أننى لم أسمح بتاتا لطفلتى أن تستمر فى حماقتها ، فكنت أعاملها دائما كما لو كانت ناضجة تماما ، وكنت أتوقع منها أن تتصرف كفرد بالغ » .

طرفا النقيض

لحسن الحظ ، أن أغلب الآباء يتحاشون الخطأ الذى

وقعت فيه الأم الأولى وهو دفع أطفالهم دفعا الى اتجاه معين وهم يتجنبون كذلك الخطأ الذى وقعت فيه الأم الثانية وهو توقع القليل . وخير الأمور ما كان بين هذين الرأيين فهو أكثر تأثيرا فى تنمية الشعور بالمسئولية عند الأطفال .

ولكن اذا ما التزم الآباء أحد هذين الرأيين المتطرفين فقد تنتج عن ذلك اتجاهات غير سلبمة نحو الشعور بالمسئولية والقيم المختلفة عند الطفل .

الدفع الزائد عن الحد للطفل :

وهذه طفلة فى العاشرة من عمرها ولكنها تراقب أختها الصغرى مثل الصقر . وكان الجيران يقولون انهم لم يروا طفلة متفانية مثلها فى العناية بأختها الصغيرة وحمايتها ولكن والدى الطفلة كان يساررهما الانشغال القليل عليها وكانا يريان أنها مغالية فى قيامها بدورها ، وأنها تنقد مساوىء الغير ونقائصه . وكانت تنقل دائما الى المنزل قصصا عن سوء تصرف أختها المزعوم وهى تحدث مدرسات المدرسة عن الأطفال الآخرين ،أما سلوكها هى فى المدرسة فكان سليما ويمكن الاعتماد عليها فى المسئوليات — أى انها ، وهى فى سن العاشرة ، كانت تعتبر صغيرة بالنسبة لما تتحمله من مسئوليات .

وهناك طفلة فى الخامسة عشرة من عمرها — لها

ما يسميه والدها « هيام بالنظافة » ، فهى لايمكنها أن تلبس ملابسها لأكثر من يوم واحد ، وكان يضايقها « كرمشة » ملابسها ، واتساخها بالتراب ، وتبقعها ، وحتى تغير ألوانها . وكانت « دواليبها » وكتبها ودرجها منظمة بدقة ، وكانت أقلامها منسقة بحسب الطول . وهى تنقل أو تعيد نقل واجباتها المنزلية ومذكراتها بعناية تامة وبدون أخطاء أو كشط . ومن الطبيعى أن عناية الفرد بممتلكاته دليل على الشعور بالمسئولية . ولكن النظافة كانت تستعبد الطفلة تقريبا . فلم يعد لديها وقت لعمل شىء آخر وكانت تستاء من المواقف التى تتطلب نوعا من « الخشونة » . فالرحلات والحفلات على الشواطىء والمعسكرات كانت فى الحقيقة محن بالنسبة لها .

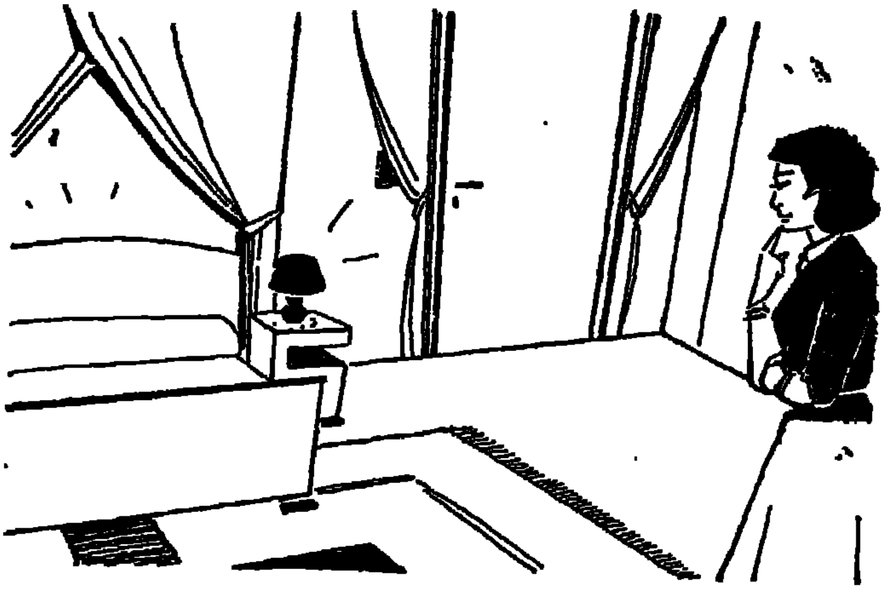

الطفل الذى يفرط فى الإتقان قد يكون لديه مشكلة عاطفية الأثر

وفى نفس الوقت هناك ولد يظهر أنه لا يستهدف فى حياته سوى غرض واحد — وهو الحصول على درجات أعلى من أى طفل فى فصول الفرقة كلها . فالدرجات «ب» ليست متبولة لديه لدرجة كبيرة — وهو يسعى الى الحصول على أحسن المجموعات جميعا . وهو أمر عسير عليـه لأن ذكاءه لا يزيد كثيرا عن المتوسط . والوسيلة الوحيدة التى تمكنه من التفوق على غيره هى أن يكرس كل وقته تقريبا خارج المدرسة فى انجاز واجباته المنزلية والقيام بالدراسات الخاصة التى يحصل منها على درجات أكثر — ونظرة واحدة الى هذا الطفل ترينا أنه لم يكن سيدا ، فهو فى شغل شاغل دائما ، وأعصابه متوترة ويستبد به القلق — وكان أقران فصله يكرهونه أو يهملونه بسبب تنافسه وقلقه على ترتيبه فى المدرسة ، كذلك لانصرافه عن النشاط الاجتماعى لعدم توافر الوقت لديه للمشاركة فى هذه النواحى . وكان مدرسه يشير بأنه فى الحقيقة لا ينشد المعرفة لذاتها ولكنه يتوسل بالدراسة لتحقيق التفوق .

ماذا وراء الاتقان ؟

ان هؤلاء الأطفال الثلاثة يشتركون فى صفتين ، فهم خلو من الشعور بالسعادة والاطمئنان .

فالأولى ، كالتى تحرص على أن يكون سلوكها حسنا ، وتظهر اهتمامها بأختها الأصغر منها أصبحت مشغولة جدا بهذا الأمر . فهى تقوم بالتبليغ عن أعمـال أختها والتقليل من قيمة الأخريات فى كل مناسبة — بما فى ذلك أختها التى تعد نفسها مسئولة عنها .

ومغالاة الطفلة الثانية فى نظافتها وحسن مظهرها لا يتيح لها الوقت أو تسنح لها الفرصة لكى تكون مثل سـائر الأطفال فى سن الخامسة عشرة بعد استمتاع بالخبرات فى السن العادية لمن كن فى سن المراهقة .

أما الطفل الثالث فان رغبته الجارفة فى الحصول على درجات عالية فى المدرسة تطغى على كل رغبة أخرى عنده . ذلك لأن الدرجات العالية والمركز الذى ينبنى عليها أصبحا غاية فى حد ذاتها ، ونظرا لأنه يعيش فى قلق دائم من خوف العجز عن الحصول على تلك الدرجات فان المعـرفة التى يكتسبها من استذكاره الطويل لا تبعث فى نفسـه السرور والرضا .

وهؤلاء الأطفال الثلاثة يشتركون فى أن وراء شعورهم الزائد بالمسئولية توجد بيئةمنزلية تتوقع منهم الكثير وزائدة

عن الحد . وقد أدى ذلك الى غلو فى الشعور بأهمية صيرورتهم قادرين ، وصالحين ، ومسئولين .

والطفل الثانى على سبيل المثال قد تخرج أبواه فى الجامعة ، والاثنان يشغلان وظائف فنية ، وهما على قدر كبير من الذكاء والثقافة ، هما يرغبان فى أن يكون طفلهما متعلما ومثقفا للغاية ، وقد ابتدأ تعليمه منذ الطفولة. وعندما بدأ فى التكلم ، لم يدعاه يتكلم كغيره من الأطفال ولكنهما كانا يصوبان له القواعد وطرق النطق ؛ ولم يكن الطفل يلهو الا باللعب التعليمية والتكوينية . ولم تكن أمه تقرأ له الا من الكتب القيمة والعلمية التى كانت تراها مناسبة له . وعندما بلغ الخامسة حاول والده أن يعلمه الشطرنج وقراءة الكتب ، وكان والده يريد له أن يكون ممتازا فى المدرسة من البداية فربما أمكنه بذلك أن يدرس سنتين فى سنة واحدة ويصل الى الجامعة فى سن السادسة عشرة .

ولكن الطفل لم يكن لديه القدرة الفعلية ليبلغ ما توقعه له والداه فى المدرسة . ومع ذلك فمعرفة الطفل بأن والديه كانا يتطلعان الى تفوقه فى المدرسة ، وتأكده من أن التفوق هو السبيل الوحيد الى كسب حب والديه ورضاهما ، فقد أرهق الطفل نفسه لدرجة الاجهاد حتى يحقق أمنيتهما .

والبيئة المنزلية للطفلين الآخرين شبيهة بالبيئة السابقة . فالبنت كانت تنبه دائما الى أن تتصرف تصرف الكبار ،وألا تكون متعبة ، فلا تضايق والديها أو الكبار . وحينما ولدت أختها كان عمرها تسع سنوات ، وقيل لها عندذاك انها لم تعد طفلة ولكنها أصبحت شابة عليها مسئولياتها فى الحنو والعناية بالمولودة ، وكان ما يبدو منها من أعمال الطفولة يقابل باعتراض شديد من جانب الوالدين مع التحذير بالقول : « اننا لا نحبك عندما تسلكين مثل هذا السلوك » .

وأصبح يغضب البنت ويضايقها أن ترى الأطفال الآخرين يقومون بأشياء تحذرهن من فعلها . وبالتدريج أخذت تستبدل بهذا الضيق شعورا بأهمية قيامها بنقل الأخبار فى كل مناسبة . وصارت تبرر تصرفها باقناع نفسها بأن الواجب يقضى ، على كل حال ، بأن تبلغ عن كل سلوك غير سليم أو صبيانى .

وبالمثل توقع والدا الطفلة الثالثة أن يكون تصرفها تصرف (السيدة الصغيرة) ومنعاها منذ صغرها من توسيخ ملابسها النظيفة والجميلة أو احداث الضوضاء أو العنف فى أثناء اللعب .

لكن الطفلة لم تكن تشعر قط أنها قد بلغت مبلغ الشابات ، كما تذهب أمها فى التصور . والآن وقد دخلت مرحلة المراهقة وصار عليها أن تتكيف تبعا للتغيرات الجسمية والاجتماعية الصعبة ، فقد ارتد تمسكها بالنظافة والنظام الى مكانها الأول من حيث أهميتها الفائقة فى حياتها . ومع أنها لم تكن تستطيع تفسير سبب ذلك بالضبط ، فانها كانت تعتقد أن التدقيق فى النظافة والاهتمام بالأناقة سوف يحقق التعادل مع بعض أحاسيسها المضطربة التى كانت تعانيها فى الأيام الأخيرة .

تصرف الأطفال حسب سنهم

الواقع أن هذه الأمثلة الثلاثة متطرفة ، فقليل من الآباء يتوقعون من أطفالهم هذه الدرجة من النضوج والتحصيل والشعور بالمسئولية ، ولكن كثيرا من الآباء يقعون فى مثل هذا الخطأ بدرجة ما .

فنحن نرى كثيرا من الآباء يتوقعون أن يكون الطفل رجلا صغيرا من البداية ، ويتوقعون من أطفالهم شعورا بالمسئولية يزيد عما يمكن أن يتحملوه دون ضرر أو بذل جهد لا موجب له . فهم يدفعون أطفالهم فى هذا الاتجاه دفعا . ولما كان الأطفال يقدرون أهمية الحظوة بحب

الوالدين ورضاهما فانهم يعملون جاهدين على بلوغ ذلك على حساب خبرات الطفولة العادية .

ويميل الأطفال لأن يصلوا فى أعمالهم الى درجة الكمال، ويعتبرون أن النقص فى شىء دليل على الفشل الشخصى . ومن السهل أن نلاحظ حال الأطفال الذين يشعرون بأن عليهم أن يبلغوا مستويات عالية ويخشون الخطأ ، فانهم يبدون تعساء وأعصابهم متوترة .

ونحن اذا ما تطلبنا من الأطفال الشىء الكثير فان هذا ينمى لديهم فى بعض الأحيان نوعا من التردد والتلعثم وبعض الاضطرابات العصبية الأخرى . وقد يفقد البعض الآخر شجاعته وتثبط همته ويلقى سلاحه من أثر تكليفه بأشياء غير ممكنة ، وقد يلجأون الى السلوك السيىء والقيام عمدا بأعمال خاطئة ، أو قد يهزمون ويفقدون الأمل فى اتجاههم العام نحو الحياة ، ويحجمون عن محاولة التوافق مع الآخرين أو بالاجتهاد فى المدرسة .

ولكى يكون الأطفال سعداء ويسيروا فى الاتجاه السليم ، يجب أن يسمح لهم بأن « يكونوا أطفالا » وأن يتصرفوا التصرف الذى يتمشى مع سنهم .

ونحن نحتاج فى تنشئة الطفل الى مدة تبلغ نحو احدى وعشرين سنة تقريبا ، وكل درس فى المسئولية ينبغى أن يساير نمو الطفل وقدراته . وعلى الآباء والمدرسين أن يتحاشوا توقع الكثير من الأطفال وتعجل تحقيق ما ينشدون ويجب أن يسمح للأطفال بالمرح وبالخطأ أثناء تعلمهم المسئولية . وكآباء ومدرسين يجب أن تتوقع الزلل والانحراف عن الاطار المرجو من سلوكهم . ويجب ألا نخاف من تعرف الأطفال بأن الأخطاء تحدث لكل فرد ، وأنه لا يوجد شخص كامل ، ويجب ألا يساق الأطفال الى الاعتقاد بأن الآباء والمدرسين لا يأتون خطأ ويجب على الأطفال كذلك أن يعيشوا فى ظل هذه المستويات . واعتراف الآباء بالخطأ يساعد الأطفال على الاعتراف بقصورهم ورغبتهم فى بذل كل ما يمكنهم لتصحيحها .

ويجب علينا أن نقنع بالتقدم البسيط فى الأشياء البسيطة، وبجزء صغير فى الوقت الواحد . فحتى بنيامين فرانكلن كان يحاول تكوين عادة طيبة واحدة فقط فى الوقت الواحد . ولا يجب أن يتوقع الوالد الكثير من طفله .

توقع القليل جدا من الطفل

والاتجاه المتطرف الآخر ، وهو توقع القليل جدا من

الطفل ، يمكن أن يكون مضرا أيضا . وأكثر الآباء يميلون الى هذا الرأى المتطرف أكثر من ميلهم للرأى السابق . ومن بين أسباب ذلك سوء الفهم الكبير للتعاليم الحديثة لسيكولوجية الطفولة ، اذ يخطىء كثير من الناس فى تفسير النظرية الحديثة على أنها تنادى باعطاء الأطفال حرية مطلقة لا تقيدها قوانين أو نظم .

حقيقة ان الاخصائيين فى تربية الأطفال لا ينصحون باجبار الأطفال على القيام بأشياء لا تتناسب مع سنهم أو نموهم العاطفى والجسمى كأن تتطلب من الطفل ، فى الشهر التاسع من عمره ، المحافظة على نظافة لفافاته ، وأن نحذر طفلا نشيطا فى السادسة بقولنا : « ان الأطفال يجب أن نراهم دون أن نسمعهم » . ولا ينصح خبراء تربية الأطفال كذلك بترك الطفل يشب دون توجيه أو تأديب أو كبح جماح .

ويتطلب تعليم الشعور بالمسئولية التدريب بوساطة الآباء والمدرسين ، اذ يقول الدكتور بنيامين سبوك مؤلف كتاب « حسن التقدير فى رعاية الطفل » — ان الأطفال لا يضارون بسبب الصرامة — بل انهم يرحبون بها . فالطفل فى الثالثة من عمره يرحب حقيقة ، بمنعه من مضايقة الطفل الرضيع ، ما دامت أمه لا تتصرف وكأنها تكرهه بسبب فعله هذا . واذا كان طفل فى السابعة من عمره يتضايق من الذهاب

الى المدرسة فهو يكون أكثر اطمئنانا حينما يذكره والده بأن عليه أن يذهب الى المدرسة على كل حال . أو البنت المراهقة، مهما كانت درجة اعتراضها ، فهى تريد أن تسمع أمها تقول لها بأنها يجب ألا تتأخر فى الخارج .

صرامة ولكن بود

ان من الخطأ أن يخاف الوالد أن يكرهه طفله اذا ماكان صارما وتوقع منه سلوكا معقــولا . فالصرامة لا يقصــد بها الغضب أو التعنيف . وليس من الضرورى أن يقصــد بها أن نكون ناقدين . فحالة الصرامة يمكن أن تكون ودية وسارة وحازمة وواقعية الى الدرجة القصوى .

فهذا طفل فى الخامسة تكره أمه اللجوء الى التأديب . فقد أرادت أن تنشئه على الحرية وعلى حبه لها ، ولكنها كشفت أن الابن لم يمنع بحريته من اشرافهــا ، ولم يكن سعيدا أو راضيا عن نفسه — ولاحظت أنه يميل فى بعض الأوقات الى مضايقتها عن قصد ، واثارتها لدرجة أنها تضطر فى النهاية الى تأديبه .

ولم تكن الأم من جانبها مرتاحة لهذه الحال . فلم يكن الطفل مثيرا أو غير سعيد فقط ، بل كان يتحول بسرعة الى ذلك النوع من الأطفال الذى لا يطيق أى شخص وجوده الى جانبه . وقد أثار سلوكه أصحاب المتاجر التى يتصل بها

وتسبب فى مضايقة راحة العملاء ، وكان عندما تصحبه أمه فى احدى الزيارات كانت قلة اكتراثه بالآخرين مبعث استياء الناس . وأخيرا وجدت أمه أنه ليس من العدل ترك الطفل حتى يصبح مكروها بسبب سلوكه الذى يخلو من الشعور بالمسئولية .

وبدأت الأم تتوقع الكثير من ابنها — فحددت له بوضوح السلوك الصحيح والسيىء فى اعتبارها . وبدلا من أن تسمح بالمواقف التى تجر الى التأديب ، حاولت أن تتحاشاها بنهره قبل أن يتحول الموقف الى ما يثيرها ويغضبها .

فكانت تقول « لا » لأشياء معينة ممنوعة ، وكانت تردف قولها « لا » بالعقاب عند الضرورة .

وتبددت مخاوف الأم من أن التأديب يفقدها حبه عندما سمعت الطفل يقول فى تأكيد لقرينه الذى كان يمارس نشاطا غير مسموح به : « ان أمى لا تدعنى أفعل هذا لأنها تعلم أنه ليس فى صالحى » .

ويستطيع الطفل أن يدرك أننا — كآباء ومدرسين — لا نحرم عليهم شيئا — فى بعض الأحيان — الا بسبب حبنا لهم وحنونا عليهم . وعلينا أن نتوقع منهم أعمالا وواجبات أيضا ولكن الى الحد المعقول ، الذى يسمح باستمرار الطفل فى تقدمه نحو النضوج والشعور بالمسئولية . ومن الأمور

التى تجعل الطفل سعيدا ومطمئنا هو أن يدرك كنه المطلوب منه وأن يعرف أيضا أن والديه ومدرسيه لن يتخلوا عنه ليصبح أقل مما تسمح به امكانياته . فمطالبة طفل بما يتميز هو — بالنسبة اليه — دليل على صدق اهتمامك به وتقديرك الخالص لميوله .

مسلمات

• لا تدع طفلك يشعر بأنه مذنب اذا أخطأ . واجعله يعلم أن المهم دائما هو المحاولة .

• اعترف باخطائك التى تقع فيها حتى لا يشعر الطفل بأن عليه أن يكون كاملا .

• ليكن رائدك ذلك المدرس الذى يقول لتلاميذه « ان الأخطاء لا تحسب انما المهم هو تصحيحها » .

• دع الطفل يدرك ما هو مطلوب منه ، فهذا هو العدل وهو يمنع كثيرا من سوء التفاهم .

• كن صارما عند الضرورة ولكن كن عطوفا دائما .

• تجاوز عن أكبر عدد ممكن من الأخطاء ، ولا تصححها الا عند الضرورة .

• لا تهزأ بتاتا بطفل ، أو تجعل منه أضحوكة .

٦

تنمية المسئولية فى المدرسة

هل تذكر تلك الأيام التى كان الفصل فيها ساكنا سكون القبر ؟ حين كان الفصل الجيد هو الذى يجلس تلاميذه كالأحجار ، لا يتكلم الواحد منهم الا اذا سئل ؟ فالأطفال فى تلك الأيام كانوا أشبه بالدمى المطيعة — لا تتحرك الا اذا شد المدرس الخيط الذى يربطها .

ان هذا الأسلوب الاستبدادى فى التدريس فى طريقه الى الزوال . ونحن نلاحظ زيادة مستمرة فى عدد المدارس — خصوصا مدارس المرحلة الأولى — التى يقدر مدرسوها أهمية السماح للأطفال بالمشاركة الفعلية فى العمل وتشجيعهم على ذلك وعلى التعبير عن آرائهم ، والحرية فى التحرك والكشف ارضاء لحب الاستطلاع ، ورسم الخطط والتعاون مع الآخرين ، فمدارسنا اليوم تتيح للتلاميذ

قسطا أكبر من الحرية — وهى الحرية التى تجعل الأطفال أكثر استجابة وشعورا بالمسئولية .

وقد يعتقد الآباء أنه لا يوجد نظام فى مثل هذه المدارس الحديثة ، وأنه بدون ذلك النظام التقليدى الصارم لاتسلس قيادة التلاميذ أو تدريبهم ، وهم يقصدون ذلك النظام الذى يلزم التلاميذ الجلوس فى سكون مكتوفى الأيدى مستقيمى الظهر كالعصى .

وطبيعى أن تدب الحياة فجأة فى تلك الدمى البشرية ، اذا ما ترك المدرس الفصل لفترة وجيزة أو تأخر فى الوصول اليه فى ميعاده ، عندئذ ينطلق الأطفال كما ينطلق المجانين من معقلهم .

وذات يوم اضطرت احدى مدرسات السنة الثالثة الابتدائية الى التأخر عن فصلها فوصل الأطفال الى الفصل ولم يجدوها هناك ، وعندئذ أخذوا يصيحون ويدورون فى الفصل ، وتراخوا فى الذهاب الى مقاعدهم وبدأ بعضهم يتناقش فيما كلفوا به من واجب منزلى فى الليلة السابقة ، وهو عبارة عن قصة لنكولن فى ولاية كنتاكى أثناء طفولته . وكانت قصة جميلة تبين كيف نجح لنكولن فى التغلب على المدينة وكيف كان يستذكر دروسه فى ضوء نار مشتعلة ، وكيف كان يكتب دروسه بساق من الخشب المحروق .

والى جانب ذلك كانت هناك بعض الأحاديث الخاصة ، وكان الصوت مرتفعا أكثر من المعتاد ، ولكن سلوك أغلب الأطفال كان أغلب الوقت مشرفا للغاية .

ولما اتصلت المدرّسة بالناظر تليفونيا لتعتذر عن اضطرارها الى التأخر ، ذهب الى الفصل ليبقى به حتى تصل — فوجد أن الأطفال كانوا فى نظام تام فاختار أحد الأطفال ليراقب الفصل وخرج لانجاز أموره الأخرى .

وقد سأل الناظر المدرسة بعد ذلك عن كيفية توصلها لهذا النظام الذى يجعل الفصل يستمر فى عمله بهذه الطريقة دون أن يكون هناك اشراف عليه .

فقالت المدرسة : « اننى لا أسوس فصلى كما يساس السجن ، وأسلم بأن الأطفال سوف يسببون لى متاعب قليلة بقدر الامكان . ولذلك فليس هناك ما يدعوهم للتصرف كالمسجونين عندما يفك أسرهم اذا ماتركت حجرة الدراسة. فنحن نخطط العمل سويا ، نقرر المشروعات ونحل المشاكل معا ، ونحن تتشارك جميعا فى خبراتنا واكتشافاتنا ، ولدينا لجان عامة وأخرى خاصة ، ويشعر أطفالى أنهم مسئولون عما يدور فى الفصل لأننى أشركهم فى ادارته » .

فالتفكير والتخطيط والعمل سويا ، كما فعل الأطفال فى فصل هذه المدرسة ، تمثل صميم الحياة الديمقراطية .

تكوين العادات الصالحة

ان المدرسين — فى واقع الأمر — يمكنون الاتصـال الأول للطفل بالمجتمع الكبير خارج المنزل والأسرة ، فالطفل لم يعد المركز الذى يسخر كل شىء لخدمة رغباته وميوله الخاصة ، فهو يتعلم ماهية المعاملة دون تحيز مع العطف والعناية بالطبع كفرد فى مجموعة من الأطفال لهم حقـوق متساوية . فادراك الطفل حقيقة نفسه بالنسبة لغيره له أكبر الأثر فى تقوية شخصيته فى جعله فردا أكثر مسئولية .

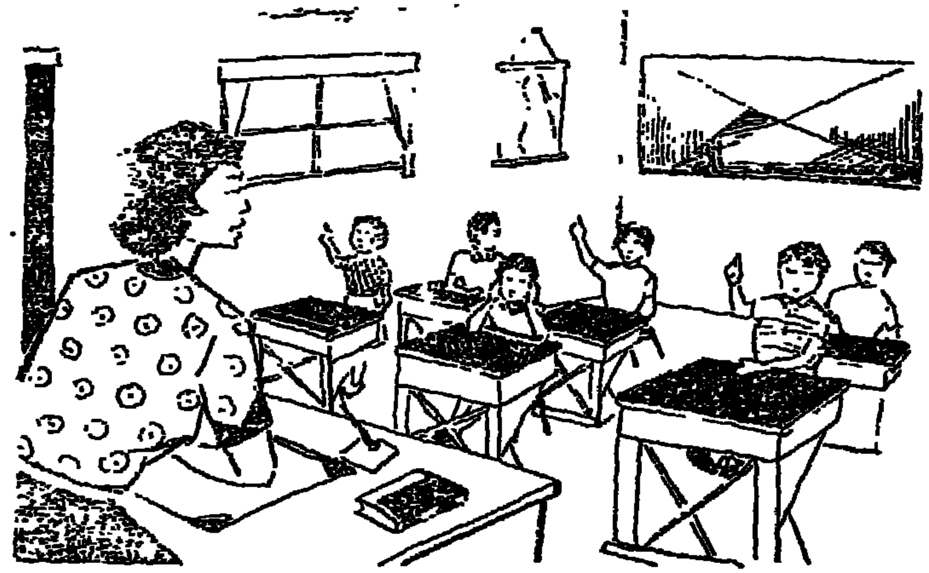

المشاركة فى العمل فى المدرسة كما هى الحال فى المنزل تساعد على تنمية الشعور بالمسئولية

وقد يندهش كثير من الآباء اذ يرون أطفالهم يتصرفون

فى استقلال ويعتمدون على أنفسهم بعد بضعة أسابيع من بدء الدراسة . فالأطفال الذين لم يكونوا يقومون قبلا بخلع أحذيتهم أو بغسل وجوههم ، يصرون على القيام بهذا العمل « لأنهم يفعلون ذلك فى المدرسة » .

والطفل الذى تتحايل عليه كى يغسل أسنانه بالفرشاة ، قد يغدو مصرا على غسلها بعد كل وجبة وفى المساء والصباح ، والسبب فى ذلك « أن المدرسة تقول ان غسل الأسنان بالفرشاة يمنع تسوس الأسنان فى الكبر » .

وقد يتحير الآباء من ذلك الاحترام الحقيقى الذى يكنه الأطفال لمدرسهم ، ومن الأثر البالغ الذى تتركه آراؤه ومقترحاته فى نفوسهم .

فالمدرس شخصية جديدة فى حياة الطفل ، وهو أهم شخص فى عالمه الجديد الذى لم يمر بخبرته من قبل . يضاف الى هذا أن عدم وجود رباط عاطفى يربط الطفل بمدرسه ، مثل ذلك الذى يربطه بوالديه ، يجعله يتقبل التوجيه منه دون مقاومة كبيرة .

الواجبات المنزلية

الواجبات المنزلية هى احدى الطرق التى تعود الطفل فى المدرسة عادات صالحة على أداء الأعمال كما تعلمه الشعور

بالمسئولية . فالطفل يعطى عملا ليؤديه بنفسه خارج المدرسة، وعليه أن ينجزه ، وأن يصل فى تنفيذه الى مستوى معين من الاتقان .

ونظرا لأن الواجبات المنزلية تعلم الشعور بالمسئولية فعلا ، فان من المهم أن يفهم الآباء ذلك كى يعاونوا على اعطائها الأهمية المناسبة لها ، فالتذمر من « أن هذا المدرس يعطيكم واجبات منزلية كثيرة » أو من أنه يستنفد كثيرا من وقت الطفل بحيث يصعب عليه اتمام واجباته ، كل هذا من شأنه أن يربك الطفل لدرجة خطيرة تزعزع ادراكه لماهية مسئولياته وتؤخر نموه ليصبح شخصا مسئولا . (وها هى ذى بعض الطرق التى يمكن بها مساعدة الآباء للمدرسين على تعليم عادات صالحة والشعور بالمسئولية عن طريق الواجبات المنزلية) .

- ساعد الطفل على تنظيم وقته حتى يمكنه انجاز واجباته المنزلية ، وهيِّىء له مكانا هادئا تتوافر فيه الاضاءة الكافية .

- وجه اهتمامه لواجباته المنزلية وناقشها معه اذا كان يرحب بمثل هذه المناقشة .

- شجعه على الجهد الذى يبذله فى المدرسة ، وأظهر

تقديرك للجوائز التى يحـرزها والدرجات العاليـة التى يحصل عليها .

• أثبه أيضا على الأداء الجيد للواجبات المدرسية؛ فيمكنك أن تقول مثلا : — « أخبرنى المدرس أن أداءك لواجباتك المدرسية أفضل بكثير مما سبق . فاذا توافر لديك وقت كاف فانه يمكنك الذهاب لمشاهدة مباراة فى كرة القدم فى أحد أيام الأسبوع القادم . »

• اجعله يفهم أنك ومدرسه شركاء فى تتبـع اتمامه لواجباته المنزلية .

« اننى آسف ، يا صديقى ، اذ أن عليك أن تمضى وقتا أطول لانجاز واجباتك . وهذا معناه عدم الخروج للعب بعد اليوم المدرسى . وقد أخبرنى مدرسك فى اجتمـاع مجلس الآباء أن عملك لم يكن مرضيا فى الفترة الأخيرة» .

• اذا كنت متأكدا — بدرجة ما — من أن طفلك يبذل أقصى جهد لديه — حتى ولو كانت النتائج مخيبة بعض الشيء للأمل — فلا تتطلب منه أكثر من ذلك ولا تشعره بأن غضبك عليه ورضاءك عنه يتوقفان على ترتيبه فى الفصل.

إذا كان الطفل يبذل أقصى جهده فليس من الحكمة أن تتطلب الكثير

الغش والشعور بالمسئولية

هناك مشكلة فى تعلم المسئولية وهى الغش فى المدرسة — فالطفل الذى يغش لا يدل سلوكه على شعوره بالمسئولية . والغش ما هو الا طريقة مختصرة للحصول على ما تريد ، وهو طريقة للحصول على شىء دون مقابل ، ونيل ثواب على جهود لم تبذل .

وللغش أسباب كثيرة ، ففى بعض الأحيان ينظر الطفل اليه كطريق للتغلب على المدرس . أو قد يرغب باقدامه على هذا العمل فى الظهور أمام زملائه مغامرا وجريئا ، وحتى لو ضبط الطفل وهو يغش ثم عوقب بشدة فانه قد يبدو لأقرانه وكأنه شهيد .

وزيادة الاهتمام بترتيب الأطفال وفق تعرفهم قد يكون سببا فى اقدام الطفل على الغش أيضا ؛ فقد يشعر الطفل بأن الطريق الوحيد للوصول الى مركز مرموق هو بأن يكون على رأس قائمة فصله .

وفى بعض الأحيان ، قد يكون الآباء أيضا السبب فى غش الطفل . ومن المحتمل أنهم يطالبونه بما لا طاقة له به فلا يمكنه تحقيق تلك المستويات الا بالغش .

أصل المشكلة

ان انتشار الغش يحطم الروح المعنوية فى الفصل لأنه يقضى على الباعث الى التعلم ، ويظهر التحصيل المبنى على الأمانة وكأنه لا قيمة له ، كما قال طفل لأمه : — « لماذا يجب علىَّ أن أستذكر أو أقوم بواجبى المنزلى ؟ فالأطفال الذين يغشون يحصلون على الدرجات العالية » . والمدرس الناجح هو الذى يحاول أن يصل الى جذور مشكلة الغش ويحاول تحديد أسبابها .

فاذا وجد أن المنافسة القوية هى الدافع الذى يحدو بالطفل الى الغش فعليه أن يؤكد أنه لا يهمه أن تكون أخطاؤه أقل ما يمكن ، ولكن الذى يهمه هو أن يبذل الطفل قصارى جهده . ولأن الكثير من الأطفال لا ينظر الى

الغش على أنه عمل سيىء أو خاطىء وجب على المدرس أن يبين لهم أنه نوع من السرقة ، وأن الطفل حينما يغش انما يأخذ معرفة لا يمتلكها ؛ وهـذا العمـل شبيه باسـتيلاء الشخص على ملابس غيره أو طعامه .

ومهما اختلفت الأسباب فطريقة تصرف المدرس حيال حالة الغش لها أهميتها البالغة . ففي حالة من الحالات اكتشف أحد المدرسين أن واحدا من تلاميذه ينقل أجوبة المسائل فى اختبار للحساب : ووجد فى بطاقته المدرسية انه طفل مجـد فى جميع العلوم الأخرى ولكنـه رسب فى الحسـاب فى اختبارات الفترة الأولى . وتحدث المدرس معه بعد المدرسة وعلم أن والديه قد وعداه بشراء دراجة له اذا ما اجتهد فى الحساب وارتفعت درجته فى الفترة الثانية — وكانت رغبة الطفل قوية فى الحصول على الدراجة ولكنه كان يرى أنه لا يستطيع أن يتقدم بهذه السرعة فى بضعة أشهر .

وقد عطف المدرس على الطالب وقدر رغبته ، ولكنه أبان له أنه لا يؤيد أن يكون الغش وسيلته للحصول على الدراجة ، وأنه فى الواقع يغش والديه اذ أنه لا يستطيع الوصول الى المستوى الذى يطلبه والده . ولما كان المدرس مقتنعا بأن الحصول على هذه الدرجة العالية كان غرضـا

بعيد التحقيق فقد اقترح أن يقوم الطفل بسؤال والديه عما اذا كان يمكنه الحصول على الدراجة اذا حصل من المدرس على تقرير يبين فيه مدى اجتهاده وقصارى الجهد الذى يبذله فى محاولته . وعرض عليه أن يساعده فيما لم يفهمه بعد الانتهاء من المدرسة .

ووافق الوالدان على هذا الاجراء وكان تفهم المدرس والوالدين لحالته حافزا لهمة الطفل بدرجة تكاد تعادل رغبته فى الحصول على الدراجة وكان من نتيجة ذلك تقدمه الكبير فى نهاية الفترة الثانية وكان هذا درسا له قيمته فى تعلمه الشعور بالمسئولية .

رأى المدرسين فى الأطفال

تختلف نظرة المدرس الى الطفل عن نظرة الوالدين ، ولذلك فانه يفضلهما فى تقويم نمو الطفل نحو الشعور بالمسئولية .

والمدرس يتعامل مع كثير من الأطفال ممن يكونون فى سن واحدة تقريبا . فهو يراهم وهم يواجهون مشاكل جديدة ، ويراهم وهم يلعبون ، ويتبين مدى تمكنهم فى اغاظتهم للأطفال الآخرين . ومعاكستهم . وهو يعرف كذلك الأطفال الذين يقومون بدور القيادة وأولئك الذين يرضون بأن يكونوا تابعين وأولئك الذين يقنعون بالجلوس

والملاحظة . وهذه كلها دلالات هامة على المرحلة التى وصل اليها نمو الطفل فى الشعور بالمسئولية .

وقليل من الآباء من يتاح له ما يتــاح للمدرســين من ملاحظة الطفل وهو يعمل وسط مجموعة ، بل انه من النادر أن يوفق الآباء الى تقويم الطفل بطريقة موضوعية بالدرجة التى يقوم بها المدرسون ، والواقع أن المدرس يمكنه مساعدة الوالد كثيرا فى مشكلة تكوين شخصية الطفل .

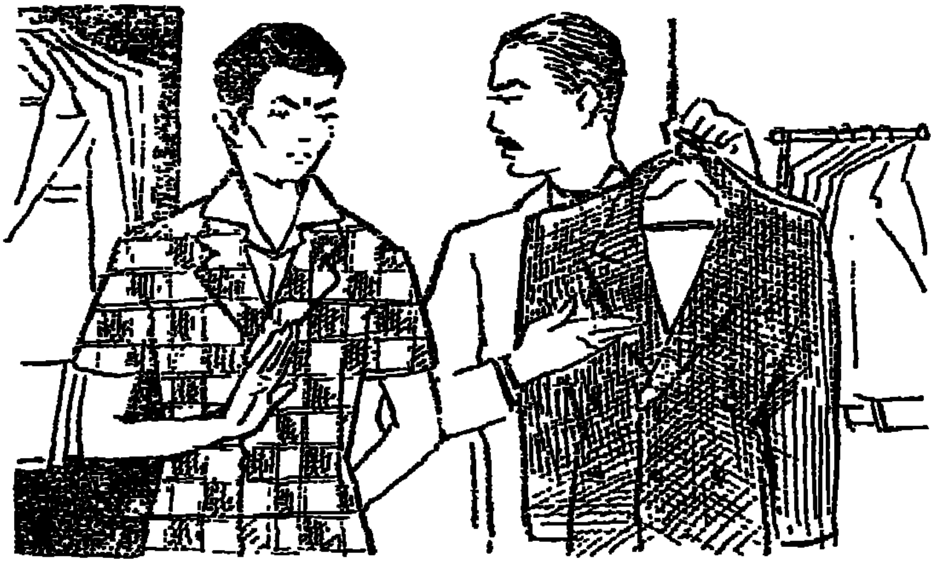

كثيراً مايرى الآباء الأطفال فى صور مختلفة تماماً عما يراها المدرسون

هذه أم تربطها علاقة وثيقة بطفلتها التى تبلغ الخامسة — فكانتا تذهبان الى المتاجر سويا فى يوم العطلة .وتذهبان معا الى دور الخيالة أو تخرجان للتنزه . وكانت الطفلة تلعب بدميتها بعد المدرسة أثناء قيام الأم باعداد العشاء ، وكانت

الأم تصحب الطفلة فى الذهاب الى المدرسة وفى العودة منها وأثناء الظهيرة لكى تتناول طعام الغداء .

وهكذا قطعت الأم دون أن تشعر ؛ كل صلة بين الطفلة وأقرانها ، وتجنبت بذلك كل المشاكل التى قد تجلبها مثل هذه الصلات . فلم تتعلم الطفلة كيف تلعب مع الأطفال الآخرين ولم يكن لها ميل للعب ، وكانت خجولا ومنطوية على نفسها ولم تشترك بتاتا فى أى نوع من النشاط .

ولكن المدرسة كانت تلاحظ الطفلة دوما فى الفصل وفى أثناء فترات الراحة فى فناء المدرسة : وتأكد لديها أنها طفلة متهيبة تخشى تحمل المسئولية ، وبذلك انعزلت كلية عن الأطفال الآخرين .

وذكرت المدرسة ملاحظتها عن الطفلة لأمها فى أثناء أحد اجتماعات مجالس الآباء ، وصرحت الأم — فى تردد — بأنها أصبحت فى الأيام الأخيرة قلقة من خجل طفلتها . وانها لا تدرى لذلك سببا ولا كيف يمكنها معالجة الموقف . وقالت : — « كنت أظن أنمن الصواب أنأتاملها كصديقة أو أخت لا كطفلة ؛ وأن أمضى معها أكبر وقت ممكن.ولكن ذلك لم يؤد الى نتائج طيبة » .

خطة لمعالجة الموقف

وقد استقر رأى المدرسة والأم على تشجيع الطفلة على

القيام بمزيد من الأعمال التى تعتمد فيها على نفسها —دون أن يكون هناك تغيير مفاجىء فى نظام حياتهـا — وكلفت بأعمال مشوقة وزيدت المسئوليات بالتدريج .ففى المدرسة، كلفت بأن تروى النباتات ، وتتعهد الأسـماك الحمـراء ، واختيرت فيما بعد مساعدة لنقل المراسـلات بين مبـانى المدرسة الى الناظرة والى المدرسات الأخـريات بالاشتراك مع طفل آخر . أما فى المنزل فقد شجعتها أمهـا على دعوة احدى زميلاتها لتناول الغداء سويا من وقت لآخر ، ونظمت الأم لنفسها ما يشغل وقتها بعد الغـداء حتى تتيح للطفلتين فرصة من اللعب سويا . وفى النهاية بدأت الطفلة تقبل دعوة الأطفال الآخرين . وبالرغم من بقاء بعض آثار للخجـل لدى الطفلة لوقت طويل جدا الا أنها حققت تقدما ملموسا فى أنواع من الاستقلال وتحمل المسئولية التى يتميز بهـا غيرها من الأطفال فى هذه السن .

فالمدرس الناجح يعرف قدر أطفاله فى حين أن الأب قد لا يعرف الا طفلة فقط . والمدرس ينظر الى الطفل نظرة موضوعية ، وهو يقارنه دائما بغيره ، بعكس الوالد فان نظرته الى طفلة تكون شخصية بدرجة أكثر ، وهى فى الوقت نفسه أضيق مجالا ولو أنها أعمق ، والمدرس والوالد يكمل بعضهما البعض فى مساعدة الطفل على النمو وعلى أيديهما

يتم توجيه الأطفال نحو النضج والشعور بالمسئولية ، اذا ما تعاونوا وتشاركوا فى الاستفادة من كل ما يعرفونه عنهم.

مسلمات

• اذا كنت والدا ، فكن على اتصال وثيق بمدرس ابنك

• اذا كنت مدرسا ، حاول أن تفهم بقدر امكانك البيئة المنزلية لكل تلميذ .

• ينبغى أن يتكاتف المدرسون والآباء فى الاهتمام معاً بمقابلة مطالب المنزل والمدرسة.

• يجب ألا ينحاز الآباء الى أطفالهم ضد المدرس على الأقل قبل التعرف على الموقف من المدرس أولا .

• لا يصح للمدرسين اطلاقا أن ينتقدوا أو يلوموا أو يحاولوا اصلاح الآباء عن طريق أطفالهم ، فالأطفال يحتاجون للشعور بأن آباءهم أشخاص أقوياء وعاقلون دون قوة وحكمة ولهم آراء يمكن الاعتماد عليها .

• ليس هناك مكان للتنافس فى العلاقة بين الأب والمدرس ، ويجب أن يشعر كل منهما بأنهما يستهدفان غرضا واحدا ، بحيث يكون الطفل راغبا فى ذلك لأقصى درجة ممكنة .

٧

الخاتمة

يجب علينا ، نحن الآباء ، أن تكون لدينا فكرة واضحة عما نريد أن نحققه لأطفالنا فنحن نريد لهم بالطبع أن يكونوا مستقلين ومعتمدين على أنفسهم ونريد لهم أن يكونوا أمناء يعول عليهم ومجدين أيضا .

ولكننا لا نريد لهم أن يركزوا اهتمامهم حول ذاتهم بحيث لا يفكرون فى أى شخص آخر . ونريد منهم حماية أنفسهم والسعى وراء سعادتها ؛ ولكننا نريد كذلك أن يتمكنوا من توجيه جزء من جهدهم الى التفكير فى الغير . فنحن نريد أن تشيع بينهم روح الود والصداقة والتعاون ليعيشوا سعداء عاملين .

وبمعنى آخر فنحن نريد أن ننمى فيهم ادراك المسئولية:
ولكن كيف يمكننا تحقيق هذه الأهداف لأطفالنا ؟ .

١ ـ ثق بأطفالك

يتقبل الأطفال تقديرنا لهم . فاذا أفهموا أن في استطاعتهم أن يكونوا أهلاً للثقة وأن ينجحوا فى عملهم فالمرجح أن تكون أعمالهم وتصرفاتهم مؤيدة لذلك . وقد حدث أن لاحظ أحد الآباء أن ابنه ينفق من مصروفه كثيرا فى شراء الحلوى والذهاب الى السينما بحيث لم يعد لديه ما يدفعه ثمنا لطعام الغداء فى المدرسة أو أجرة المواصلات اليها .

ولم يجد الأب مناصا من حرمان ابنه من المصروف وقال له « انك لم تستطع التصرف فى نقودك بحكمة ولهذا فانني سوف أتولى ذلك نيابة عنك كما كنت أفعل معك وأنت فى المدرسة الابتدائية . فعليك من الآن أن تأتى الى كلما احتجت الى النقود فى أى شيء ، وسأرى متى يحسن أن أعطيها لك . »

حقيقة ان الطفل لم يكن يشعر بالمسئولية وهو ينفق مصروفه ؛ ولكن المنع لم يجعله أكثر شعورا بالمسئولية ، كما أنه لم يتعلم من المنع كيف ينفق مصروفه بحكمة . وكل ما حدث لا يعدو ادراكه أنه لم يستطع أن يدبر شئونه المالية. فثبطت همته وشعر بأنه غير أهل لأن يتولى أمر نفسه وهذا هو نفس ما قدره والده .

وقد كان من الممكن أن يعالج الوالد هذا الموقف بأن يعطى ابنه القدر الذى يغطى أجور المواصلات والغداء للأيام الباقية من الأسبوع على أن يكون مفهوما لدى الطفل أن هذا المبلغ سوف يخصم من مصروفه فى الأسابيع المقبلة القليلة . وأنه سوف لا يعطيه أية سلفة الا فى الحالات الخارجة عن ارادته .

٢ ـ شجع الابتكار

يجب أن يشعر الطفل بأن له حرية التجريب وتأدية الأعمال بالطريقة التى يراها وانه يستطيع أن يصدر أحكامه الشخصية حتى ولو تسبب عنها خطأ . ويخشى الآباء أحيانا أن يتسبب الأطفال فى الاخلال بنظام المنزل أو الاضرار بأنفسهم . وهم يقفون فى بعض الأحيان كذلك فى سبيل نمو أطفالهم ، فهم قد ارتاحوا الى طفولته ويحبون الاستمرار فى توفير كل احتياجاته ويريدون أن يظل صغيرا معتمدا عليهم فى شئونه . ومهما أرضينا نفوسنا بما نوفر لهم من أسباب فالواجب أن ندعهم يتحررون تدريجيا من سلطاننا واشرافنا اذا ما أردنا لهم النضوج والشعور بالمسئولية .

وقد أرادت احدى الفتيات — فى الثالثة عشرة من عمرها — أن تذهب الى المنزل الصيفى لأسرتها قبل ذهاب

بقية أفراد العائلة حتى تعده لاستقبالهم ، وكان من الممكن أن تنزل ضيفة على أصدقاء للعائلة على مقربة من ذلك المكان حتى يصل أهلها . وقد عارض الوالد فكرتها ورأى أن هذا عمل ضخم بالنسبة لابنته الصغيرة ولم ترق له فكرة سفرها وحدها لمسافة ٢٠٠ ميل .

ولكن الأم وقفت الى جانب ابنتها وأرادت أن تجنبها ما سبق أن عانته هي نفسها عندما تزوجت . فوالدة الأم لم تكن تعطيها عملا تؤديه وحدها وتفتخر به ؛ وكان تشككه لا يثق فى قدرتها على القيام ببعض الأعمال المنزلية . وقالت الأم : « فلتتول ابنتى أى عمل — فى حدود المعقول — ترى أنه يمكنها القيام به » .

يجب أن تعطى الحرية للأطفال لكي يجربوا حتى ولو أخطأوا

وفرحت الابنة بما حققته وقامت بالعمل فى المنزل الصيفى وحدها دون مساعدة والديها وكانت خطوة كبيرة نحو نموها ونضجها .

٣ ـ التعلم بالقدوة الحسنة

يعتبر الشعور بالمسئولية — لدرجة ما — «مكتسبا» أى لا « معلم » . ويستطيع الآباء أن يوالوا النصح حتى تبح أصواتهم ولكن ذلك لا يجدى قليلا الا اذا كانوا هم أنفسهم مقدرين للمسئولية . فاذا هم تصرفوا كأشخاص بالغين ويؤدون التزاماتهم باغتباط عظيم : سوف لا يكون هناك داع للوعظ أو الألفاظ الجوفاء . فالاحساسات والآراء والعواطف تنتقل بسهولة من الآباء والمدرسين الى الأطفال .

ومن المهم أيضا أن ننقل الى أطفالنا أنواعا من الآراء نحب أن نراهم ينقلونها بدورهم الى غيرهم كالآراء المتعلقة بتكامل الشخصية والشعور بالمسئولية نحو أنفسهم ونحو الآخرين فى نفس الوقت ، والآراء المتعلقة بالسلام والصداقة ، والآراء المتعلقة بالحنان ، والآراء المتعلقة بمعاملة الناس بما نحب أن يعاملونا به .

فاذا ما تم ذلك نشأنا من منازلنا ومدارسنا رجالا بحق ، رجالا لا يكون همهم الوصول الى ما يعنيهم وحدهم فقط .

ولا يتكونون ممن يتساءلون « عما لهم فيها ؟ » أو « لماذا يشغلون أنفسهم بكل هذا » ، ولا يعيشون فى حصون مغلقة ويشق عليهم أن يعنوا بغير مايخص عائلاتهم وأنفسهم. بل نريد أفرادا مجدين مشتغلين أصحاء فى انفعالاتهم ، أفرادا مسئولين يبنون حياة صحيحة سليمة لأنفسهم ولعائلاتهم ومجتمعاتهم ، بل وللعالم كله .

صدر من هذه السلسلة

« علم النفس للآباء والمدرسين »

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المترجم
١	افهم نفسك	الدكتور محمد خليفة بركات
٢	لماذا ينحرف الأطفال	الدكتور محمد نسيم رافت
٣	مخاوف الأطفال	الدكتور محمد السيد خيري
٤	التوجيه المهني للشباب	أحمد زكي محمد
٥	المشاكل الانفعالية للنمو	الدكتور محمد السيد خيري
٦	اكتشاف ميول الأطفال	الدكتور محمد خليفة بركات
٧	الطفل والوراثة	الدكتور ابراهيم حافظ
٨	تعاون الآباء والمدرسين	الدكتور محمد نسيم رافت
٩	التربية الاجتماعية للأطفال	الدكتور فؤاد البهي السيد
١٠	سبيلك الى الصحة	الدكتور سعيد عبده
١١	كيف تحل مشكلاتك	السيد محمد عثمان
١٢	الطفل والأمور الجنسية	الدكتور ابراهيم حافظ
١٣	صحة ابنائك	الدكتور سعيد عبده
١٤	الأمانة دائما	الأستاذ محمد عبد الحميد أبو العزم
١٥	كيف تكون أبا ناجحا	الدكتور ابراهيم حافظ
١٦	استكشف شخصيتك	الأستاذ عبد المنعم الزيادي
١٧	التكيف الاجتماعي للأطفال	الأستاذ السيد محمد عثمان
١٨	كسب محبة الغير	الأستاذ السيد محمد عثمان
١٩	عدوان الأطفال	الدكتور عبد المنعم المليجي
٢٠	تنمية القدرة على التعلم عند الأطفال	الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل
٢١	كيف يلعب الأطفال	الأستاذ محمد عبد الحميد أبو العزم
٢٢	قدراتك العقلية	الدكتور محمد خليفة بركات
٢٣	الاختبارات النفسية ودلالاتها	الدكتور عطية محمود هنا
٢٤	المشكلات الانفعالية للمرض	الدكتور السيد محمد خيري
٢٥	كيف ينمو الأطفال	الدكتور محمد خليفة بركات
٢٦	أطفالنا الموهوبون	الدكتور صادق سمعان

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المترجم
٢٧	تربية الشعور بالمسئولية عند الأطفال	الأستاذ خليل كامل ابراهيم
٢٨	كيف نبحث عن عمل	العميد سيد عبد الحميد مرسى
٢٩	كيف نعاون الاخوة والاخوات على التفاهم	الدكتور سعد دياب
٣٠	كيف نساعد الأطفال على تنمية قيمهم الخلقية	سامى على الجمال
٣١	كيف نعيش مع الأطفال	سامى على الجمال
٣٢	الطفل والقراءة الجيدة	سامى ناشد
٣٣	كيف تساعد الاطفال على النجاح فى المدرسة	سامى على الجمال
٣٤	مساعدة الطفل على اجادة الكلام . .	صلاح الدين لطفى
٣٥	كيف نتفاهم مع الوالدين . .	العميد سيد عبد الحميد مرسى
٣٦	مهنتك وكيف تختارها	عبد الفتاح المنياوى
٣٧	تيسير القراءة	سامى ناشد
٣٨	اعرف مشكلاتك	الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل
٣٩	مساعدة الاطفال على حل مشكلاتهم .	صلاح الدين لطفى
٤٠	كيف تستمتع بوقت الفراغ . . .	الدكتور محمد أحمد الغنام
٤١	مشكلات سلوكك	الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل
٤٢	كيف تكون فلسفتك فى الحياة . .	الدكتور محمد أحمد الغنام
٤٣	القدرات العقلية عند الأطفال . .	عبد الفتاح المنياوى
٤٤	اكتساب الخبرات المهنية . . .	الدكتور محمد لبيب النجيحى
٤٥	دعنا نفهم مشكلات الشباب . . .	الدكتور عطية محمود هنا
٤٦	الطريق الى التفكير المنطقى	« « « «
٤٧	الصداقة والاحتفاظ بالأصدقاء . .	سامى ناشد
٤٨	النمو الوجدانى والانفعالى . . .	سامى على الجمال
٤٩	كل شىء عن نفسك	السيد محمد العزاوى
٥٠	كيف تستثمر ذكاءك	الدكتور ابراهيم حافظ
٥١	تنمية الثقة بالنفس	الدكتور محمد أحمد الغنام
٥٢	كيف تكون رائدا ناجحا	العميد سيد عبد الحميد مرسى
٥٣	مواجهة الطفل للأزمات	الدكتور محمد خليفة بركات
٥٤	ما يجب على المراهق أن يعرفه . .	الدكتور محمد نسيم رافت
٥٥	أنت وقدراتك	الدكتور عطيه محمود هنا

رقـــم الايـــــداع ١٥٢٤ / ١٩٩٤

I . S . B . N .

977 - 0 - 200 - 086 - 5

هذا الكتاب

الشعور بالمسئولية ليس لفظا مجردا ، بل ان له ميادينه . فهناك شعور المرء بمسئوليته نحو المجتمع ، ونحو أسرته ، ونحو نفسه . وهناك الشعور بالمسئولية نحو مهنة ، ونحو طائفة ، ونحو فكرة . وفي الوقت الذي اكتب فيه هذه [illegible] أشعر بمسئولية نحو فكرة القومية العربية ، وأشعر [illegible] الاسهام في نشر الوعي بها [illegible] تخرج بها من حيز الكلام والعاطفة [illegible] العمل والأمل [illegible]

[illegible]

الدكتور عبد [illegible]

Bibliotheca Alexandrina
مكتبة الإسكندرية
0212237